المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ١ ذي القعدة سنة ١٣٣١

مبدأ الاتصال

من خطبة الاستاذ السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في برمنجهام في ١٠ سبتمبر الماضي

أبتدئ بالاسف الشديد لوقوع الفاجعة التي جعلتني اتبوأ هذا المنبر آلا وهي وفاة السر وليم هويت فانهُ كان صديقاً حميماً لكثيرين من الحضور ههنا وكنت اود ان يتعرَّف به اهالي برمنجهام ويسمعوا من لسانهِ عن العمل العظيم الذي عملهُ منفذاً رغائب السلطنة في انشاء معدات الدفاع عنها[1]

ثم ان خطبة رئيس هذا المجمع ليست محلاً لتدوين الربح والخسارة ولكن لا يليق بنا ان نبتدئ سنة جديدة من سني مجمعنا من غير ان نشير الى ثلاث خسائر اخرى خسرناها في السنة الماضية الاولى ذلك الشهم الذي تعلَّق على العلوم الطبيعية تعلُّق غاوٍ وقد رأس مجمعنا لما اجتمع في مدينة يورك منذ اثنتين وثلاثين سنة[2] وهو السرجون لبك الذي صار لورد افبري فانهُ خدم العلم خدمة نصوحاً عن شغف بهِ كأنهُ فن من الفنون الجميلة . وبذل قواهُ العقلية ومقامهُ في الهيئة الاجتماعية في خدمة الدين لم يولدوا في نعمة مثلهُ

وخسر العالم بوفاة السر جورج دارون عالماً فلكياً رياضياً خلَّد ذكرهُ باشتغالهِ في حل

(١) [المقتطف] كان السر وليم هويت ممثلاً رئيساً للمجمع فتوفي منذ عهد قريب واختير السر اوليفر لدج رئيساً بدلاً منهُ

(٢) [المقتطف] لجد خطبة السرجون لبك مبتدئ في المجلد السادس من المقتطف والصفحة ٥٣٠ وما بعدها وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة اي منذ انشاء المجمع البريطاني الى ذلك الحين

مسائل المد والجزر ونحو ذلك من الاحداث الطبيعية . ولقد كان رئيساً لجمعنا حينما زرنا جنوب افريقية منذ عهد غير بعيد

والخسارة الثالثة الكبرى هنري بوانكره ذلك الرياضي الثابتة من توابغ جيراننا الذي غاص في اعوص مسائل الرياضيات فاستجلى كنهها بعقله الفلسفي وسبق بلاغته في ايضاح النواميس الطبيعية وما ترتّب عليها من التنوّع بتقدم المعارف قبلة الذين يسهل عليهم فهم هذه المواضيع العويصة . ولا اقول اني اوافقهُ على كل ما كتبهُ او قالهُ في الطبيعيات ولكن ما من احد من المشتغلين بالعلوم الطبيعية الاّ ومباحث بوانكره تستهويه وسأشير الى بعضها في ما يلي

ولا بدّ لنا الآن من ان نغضي عن ذكر كثيرين غير هؤلاء وعن الاشارة الى اعمالهم ونحصر كلامنا في العلم نفسهِ فنسأل اولاً ما هي الميزة التي يمتاز بها عصرنا وبماذا يبشّر رغماً عمّا فيهِ من الاضطراب . يختلف الجواب عن هذا السؤال باختلاف الذين يجيبون عنهُ اما انا فاقول انهُ يبشر بتقدم سريع ممزوج بشك اساسي

فان التقدّم السريع لم يكن من ميزات النصف الاخير من القرن التاسع عشر او على الاقل لم يكن من ميزاتهِ في الطبيعيات . وُضعت فيهِ اسس راسخة متينة بُنيت عليها مباني المعارف محكمةً متماسكة ولكن لم تفتح فيهِ ارض جديدة لتقام عليها مباني جديدة . « وظهر كأن حقائق الطبيعة عُرف كل ما هو جوهري منها وقلّ الامل باكتشاف حقيقة اخرى جديدة وانحصر عمل الباحثين في الفصل بين الآراء المتباينة والتفريق بين الفاضل والمفضول منها او في اكتشاف شيء عرَضي يقوّي هذا الرأي او ذاك » كما قال شستر

لما ثبت سنة ١٨٨٨ وجود امواج الاثير التي قيل بها قبلاً واكتُشفت اشعة رنتجن سنة ١٨٩٥ والاشعاع الذاتي سنة ١٨٩٦ وامتفرد الالكترون سنة ١٨٩٨ قويت الآمال باكتشافات مهمة فكثرت الامور الجديدة امتهانية كانت او نظرية او هندسية منذ ابتدأ قرننا هذا ولذلك قلت ان التقدم سيكون سريعاً

وسيكون كلامي على هذا التقدم وجيزاً لانهُ لا يعلم في اي جهة يتجه واما الشك الاساسي فسأتكلم عنهُ بالتفصيل

ولا اعني بالشك هنا الشك الديني الذي كثُر الكلام عليهِ والجدال فيهِ لان سَوْرة ذلك الجدال قد خمدت الآن والخصوم التي لجأ الخصوم اليها لا تحتمل الهجوم . ودارت رحى الحرب بين رجال العلم انفسهم وشاركهم فيها رجال الفلسفة فوقف الخصم القديم وقفة المتربص

المتحفز راجياً ان يستفيد من هذا الخصام . وهو يحسب ان بعض الحصون هُجر لغير سبب كافٍ ولا بدَّ من استردادهِ . واذا تركنا المجاز وعدنا الى الحقيقة التاسعة قلنا ان الخصم يحسب ان بعض ما انكرهُ لان ليس لهُ ادلة كافية قد يكون حقيقياً ولذلك قلَّت الكراهة اللاهوتية القديمة واشار اصحابها باستعمال اللين والمسالمة

ولو اردتُ ان اشرح كلَّ المسائل العلمية والفلسفية التي وقع الخلاف فيها لاضطررت ان اتلو من الخطب اكثر مما يتلى في هذا المجمع ولكني اشير الى اهم هذه المسائل بكلمة او كلمتين على كل مسألة منها

ففي الفسيولوجيا مدار الخلاف على مسألة الحياة وقد بسط سلفي الكلام عليها في الاجتماع الماضي (١)

وفي الكيمياء على بناء الاجسام الجوهري وسافهُ ادرى الناس بعقبات هذه المسألة (٢)

وفي البيولوجيا على الوراثة والمرجح ان خلفي سيتناول هذا الموضوع ويبسطهُ احسن بسط

هذا من حيث الخلاف في المواضيع الجوهرية الكبرى ويتلوهُ الخلاف في مواضيع اخرى كفصول التعليم في علم التعليم وحقوق الملكية وكل المسائل المعاشية في علم الاقتصاد والسياسة حتى حقوق النساء

واخيراً مسألة الاتصال في العلوم الرياضية والطبيعية . وقلما يفهم المراد بهذه الكلمة ولذلك ساشرحها مفصلاً

وهناك امر اخر اهم من هذه المسائل كلها وموضوع جوهري اسامي وهو البحث الدقيق عن صحة الاسس العلمية والشكُّ الفلسفي الذي نراهُ آخذاً في الازدياد ومن نتائجهِ الريب في صحة الاحكام العقلية والاعتراف بقصور المدارك العلمية . فان العلم من اشغال العقل ويجب ان يُنظَر فيهِ الى الامور كلها بعين العقل والتمعُّن فليس لهُ ما يحبُّ وما يكره ولا لهُ غرض يرمي اليهِ الاَّ الحق او كما قال برتران رسل واجاد « ان محور البحث العلمي ان لا يلتفت المرء الى ما يحبهُ ويرضيهِ اذا اراد ان يدرك الحقائق »

وهذا القيد هو الذي يجعل للعلم شأناً وقوةً ولكنهُ اذا بُولِغ فيهِ حتى تجاوز حد النفع ووصل الى ربوع التحكُّم والسفسطة صار سبباً لضعف العلم لان طبيعة الانسان شيءٌ كبير وعقلهُ جزءٌ صغير من طبيعتهِ والعقل حديث النشأة ولذلك يصيبهُ ما يصيب الاشياء الحديثة

(١) هو الاستاذ شفر ونجد خطبتهُ في متطف اكتوبر ونوفمبر ودسمبر من السنة الماضية وفبراير من هذه السنة (٢) هو السر وليم رمزي ونجد خطبتهُ في متطف دسمبر سنة ١٩١١

ويجب عليه ان لا يحسب انهُ هو الانسان كلهُ ولعلهُ ليس افضل شيء في الانسان

ومن المحقق ان بعض الاشياء المهمة جدًّا لا محل لها في العلم بل محلها في الشعر والآداب ولذلك ساء ظن البعض بالعلم وكرهوهُ . العلم يستلزم القياس والنظام فاذا دخل مرتبًا لا محل فيهِ للقياس فمدارهُ فيهِ قليل او كما قال المستر بلفور بالامس حينما فتح جناحًا في المعمل الطبيعي الوطني « ان مدار العلم القياس فالاشياء التي لا تقاس لا محل لها فيهِ او لا يلتفت اليها ولكن الحياة والجمال والسعادة امور لا تقع تحت القياس ولو وجد مقياس للسعادة لابتدأت السياسة تصير علمًا »

والعواطف والبديهيات والسلائق اقدم من العلم جدًّا ولا يمكن اغفاله الطرف عنها اذا اردنا ان ندرك كل ما في الوجود . وقد يجوز للعلماء ان يغضّوا الطرف عنها في مباحثهم العلمية ولكن هذا لا يجوز للفلاسفة . ولذلك اخذ الفلاسفة يرتابون في كليات العلم ويقولون اننا نطرفنا في تعميم النتائج العملية التي نجمت في معاملنا مثل ناموس حفظ القوة فهل هو مضطرد دائمًا أم لا يوجد ما يخالفهُ احيانًا

وقد جرى العلماء مجرى الفلاسفة في نقض القضايا العلمية القديمة واخذ الطبيعيون والرياضيون يرتابون في صحة قوانين الميكانيكيات وانطباقها دائمًا في كل مكان . ومن المحتمل ان يبدلوا قوانين نيوتن بقوانين اخرى ادق منها

بل قد اشار بعضهم بقوانين للميكانيكيات غير قوانين نيوتن اساسها ما كُشف حديثًا من حدوث التغير في الاجسام اذا كانت متحركة بسرعة فائقة تماثل سرعة النور فقد ظهر ان شكل الاجسام وجرمها هما من ملابسات سرعتها فاذا زادت السرعة زاد الجرم وتغير الشكل ولكن ذلك قليل جدًّا في الاحوال العادية حتى لا يشعر بهِ

الى هنا لا ارى ما اعترض عليهِ اي اني لا اعترض على تقرير الواقع ولكني لا اراهُ موجبًا لتغيير علم الميكانيكيات المبني على قواعد نيوتن . ولا تنتقض قاعدة نيوتن الثانية اذا كان جرم الجسم متغيرًا لان جرم نقطة المطر يتغير في ولوجها وجرم الارض يتغير بسبب ما يقع عليها من الغبار النيزكي وجرم الشمس يتغير بالاشعاع وجرم القاطرة بخروج البخار وجرم الانسان دائم التغير واذا لم يوجد غير الفرك فكفى بهِ مغيرًا لجرم الجسم حتى لقد يجعلهُ من الاجسام الميكروسكوبية

فلا داعي لترك قوانين نيوتن ولا ما يمنع الاحتفاظ بها كلها على شرط ان نضيف اليها ما اوصلتنا اليهِ المباحث الجديدة

ولقد حاول البعض ترك هندسة اقليدس وقالوا انها تلتفت الى وجه واحد من وجوه البحث . وحاول غيرهم نفي حفظ المادة او بقاءها الذي كان عمدة الكيمياء في القرن التاسع عشر . ونفي وجود الاثير من الفضاء الذي كان مدار الطبيعيات في القرن التاسع عشر

ولقد اشار الاستاذ شستر الى ترحيب رجال العلم بكل مذهب جديد فقال

« ان مرونة الافكار العلمية في هذا العصر حتى توافق كل امر جديد ظاهرة من ان الآراء التي كان لها شأن كبير عند آبائنا تركناها الآن عن طيب نفس فقد كان اباؤنا يقولون ان عدم تغير جرم الاجسام امر لازم لا انفكاك عنهُ اما الآن فلا يجد التلامذة اقل صعوبة في قولهم ان الجرم يتغير بتغير السرعة ولو لم يدركوا نتائج هذا الامر »

وهذه السرعة في قبول الاقوال الجديدة في الطبيعيات قد تكون سبباً لزيادة الشك العلمي لاجل اعادة الموازنة

وهناك نوع آخر من الشك وهو اوسع نطاقاً . فقد قال البعض ان كل النواميس التي اثبتها علماء الطبيعية وشرحوها ليست من الحقائق في شيء وانما هي اصطلاحات لا غير والانسان لا يستطيع ان يعرف حقيقة الاشياء ولا ارتقى عقلهُ الى هذا الحد وكل ما نستطيعهُ انما هو التعبير عن الاشياء تعبيراً كافياً لاغراضنا ولتفسير المراد بها

وقد نفى البعض هذا التفسير وقالوا اننا لا نستطيع تفسير شيء وغاية ما نستطيعهُ هو وصف الاشياء والافعال . قال غستاف كرشوف « ان غرض العلم وصف الظواهر الطبيعية لا تفسيرها فاذا عبّرنا عن النسبة بين ظاهرتين طبيعيتين بمعادلة جبرية فقد فعلنا كل ما نستطيع فعلهُ واذا تجاوزنا ذلك دخلنا معرض الحدس والتخمين »

ولكن آراء الذين يرتابون في مقدرة الانسان على تفسير الظواهر الطبيعية لا تكفي للاقناع وقد انتقدهم الاستاذ شستر بقولهِ

« ان الابهام الذي كنا نعدهُ اكبر اعداء العلم صار الآن الهاً يُعبَد . قد لا نصل ابداً الى معرفة تركيب الجوهر الفرد وحقيقة بناء الاثير ولذلك يقولون لنا لماذا تحبون انفسكم في البحث عنهما أليس الاجدر بنا ان نتكلم كلاماً عاماً عن تبدُّد القوة والخطوط المنيرة والاشارات المبهمة التي يعبَّر بها عن بعض الملابسات الطبيعية وما اساس هذا التعليم الجديد سوى الجبن والخوف من ظهور الخطإ . . . وعندي ان منهُ خطراً اكيداً على تقدُّم العلم واذا سلمنا انهُ يستحيل علينا ان نصل الى ابعد من الامور السطحية في الظواهر الطبيعية يبقى الفرق بين الاسلوبين المشار اليهما ان الواحد يفتخر بجهلهِ والثاني يأسف عليهِ »

ونظير الشكوك الحديثة يجلي بيان في قول بوانكاره حيث قال « ان المبادئ ليست سوى حدود ومصطلحات لكنها مستنتجة من قواعد مثبتة بالامتحان وقد جُعلت هذه القواعد مبادئ ينسب اليها العقل قيمة مجرَّدة . فاوليات اقليدس في الهندسة ليست سوى قضايا اصطلاحية اتفق الناس عليها ولا يجوز ان نسأل هل هي صحيحة او غير صحيحة كما لا يجوز ان نسأل هل المقياس المتري صحيح او غير صحيح ولكن هذه المصطلحات حسنة مناسبة

« وسواء كان الاثير موجوداً حقيقة او غير موجود ليس بالامر الجوهري والامر الجوهري ان كل الحوادث تحدث كأنَّ الاثير موجود وفرض وجوده صالح لتفسير الظواهر الطبيعية . وهل لدينا سبب آخر للاعتقاد برجود الاجسام المادية . اننا نفرض وجودها لمناسبته »

وهانذا اقتبس من السر جمس لامور كلاماً يعدُّ تريافاً للكلام المتقدم قال « مالت الافكار حديثاً الى القول بان مباني العلم الطبيعي النظرية اكثرها وهمي وهي ليست سوى سراب بقيعة بعد ان كان يقال انها صورة حقيقية تبين نسبة الاشياء بعضها الى بعض . . وخير وسيلة لتقليل الشكوك ان يعرف الانسان حقيقة هذه التصورات وطرق تطبيقها فقلما تخشى عليه مخافتها اذا كانت مخيفة »

ومما يستحق الالتفات ان هذا النوع من الشك العلمي المشار اليه اتجهُ التدقيق العلمي وان النواميس البسيطة التي كنا نعتمد عليها كانت بسيطة وسهلة الكشف لان عدم تدقيقنا في البحث عنها اخفى عنَّا ما في الطبيعة من النوامض المتصلة بها . فقوانين كبلر لا تخلو من الخطإ ولو عرف كل ما نعرفهُ الآن مما يتعلَّق بها لما اكتشفها فالسيارات لا تسير في افلاك اهليلجية بل في نوع من الهيوسيكلويد او ما يشبه الهيوسيكلويد ويقال مثل ذلك عن ناموس بوبل (لانضغاط الغازات) وغيره من قوانين الكيمياء الطبيعية فانها لا تجري بالدقة التي ظهرت لما اولاً . والنواميس البسيطة صحيحة لذاتها ولكن تتصل بها بعض الملابسات فتغير مجراها . قال بوانكاره في هذا المعنى ما يأتي واني اوافقهُ على اكثره

« خذ مثلاً لذلك قواعد انكسار النور فان فرزنل وضع لها نظرية بسيطة اثبتها الامتحان ثم ظهر من البحث المدقق ان صحتها تقريبية وانها تختلف احياناً . ثم عرفت اسباب هذا الاختلاف فبقيت كل الامور الجوهرية في نظرية فرزنل على حالها . وقد قيل انهُ لو كان عند نيوتن آلات فلكية ادق من آلاته عشرة اضعاف لما وُجد كبلر ولا نيوتن ولا علم الفلك . ولا يحسن بعلم من العلوم ان يتأخر ظهورهُ الى ما بعد اتقان آلاته وهذا نفس ما هو حادث

الآن في علم الكيمياء الطبيعية فان واضعيه يرون ما يلبكهم من دقة الارقام حيث تصل الى كثير من المنازل العشرية ولكنهم شديدو الامل يحسن الختام · ومتى زادت معارفنا بخواص المادة رأينا الاتصال متسلطاً على كل شيء · ويصعب علينا ان نثبت وجود الاتصال ببرهان قاطع ولكن اذا لم يكن الاتصال موجوداً فالعلوم كلها محال »

فهنا اشار برانكاره الى موضوعي اي الاتصال لانهُ اذا اردنا ان نلخص مناظرات العلماء الطبيعيين في هذه الايام رأينا انها قائمة بين الذين يثبتون الاتصال وبين الذين ينكرونهُ ويثبتون الانفصال

وظاهر الامر ان الاجسام كلها منفصلة بعضها عن بعض ولكن الهواء يوصل بينها ثم نرى جواهر كل جسم منها منفصلة بعضها عن بعض فنفرض وجود الاثير ليوصل بينها · فالاجسام الارضية غير متصلة ولكن هل نقف عند هذا الحد وهل للاشياء حد او هي غير متناهية

العلوم متجهة الآن الى ان كل شيء مؤلف من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض فالمادة مؤلفة من الجواهر كما ان نوع الانسان مؤلف من افراد الناس اي من رجال ونساء واولاد يعدون عدًّا فرداً فرداً او نفساً نفساً . فالاتصال امرٌ وهمي ترى الماء جسماً واحداً فتحسب ان دقائقهُ متصلة متلاصقة ولكنهُ مركَّب في الحقيقة من دقائق منفصلة سابحة في الاثير الذي يوصل بينها لان الاثير متصل الاجزاء · ومن هذا القبيل رمل البحر وشعر الرأس وطوائف الناس فانها كلها مؤلفة من افراد لا تحصى لا لان احصاءها مستحيل بل لانهُ صعب · وهذا شأن دقائق قطرة الماء فان عددها يفوق عدد قطرات الماء في البحر المحيط ولكن عدّها غير مستحيل كما ان عد حبوب الرمل غير مستحيل ولو كان صعباً · وكل ما يمكن عدهُ فهو مركب من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض · ولذلك يمكنك ان تعد النقود والايام والسنين والناس واذا اردت ان تعد شيئاً متصلاً وجب ان تجزئهُ قبلاً الى اجزاء وبغير ذلك لا يمكن اطلاق العدد عليهِ كحرارة البيت وسرعة الطائر وشد الحبل وقوة التيار ولكنك اذا جزأتهُ بقيت منهُ بقية صمَّاء لا تجزأ

وقد يقال كيف تطلق الانفصال على العدد فالاعداد الطبيعية ١ و٢ و٣ تظهر منفصلة ولكن توجد كسور تصل بينها فكيف نعلم انها غير متصلة حقيقة بواسطة هذه الكسور[1]

---

(١) اراد بالعدد العدد المطلق الذي يكون قسمة من غير باق لا العدد الاصم الذي اذا قسم بقي منهُ باقٍ

وكل فصل وجد بين الاشياء اتسع به نطاق المعارف فاكتشاف دالتن لوجود نسبة عددية بين عناصر المركبات الكيماوية كان له اكبر شأن في علم الكيمياء ثم اباان بروت ان عدد الجواهر في كل عنصر هو عدد منطق فالجواهر مؤلفة من وحدات معدودة . ومن المحتمل ان القوة مؤلفة ايضاً من وحدات . وقد وجد فراداي ان الكهربائية تتحد بالمادة كشيء معدود بشيء معدود اي ان كمية محدودة منها تتحد بكمية محدودة من المادة ومن ثم ثبت ان الكهربائية مؤلفة من دقائق محدودة معدودة اى ان لها جواهر فردة كما ظن فراداي ومكسول وهي التي سماها جنستن ستوني بالالكترونات ودرسها كروكس في الانابيب المفرغة ووزنها وقاسها هو والسر جوزف جون ظمسن واعلن ذلك في هذا المجمع لما اجتمع في دوفر[1] سنة ١٨٩٩

والالكترون هو الجوهر الفرد من الكهربائية السلبية وقد لا يمضي وقت طويل حتى يكتشف الجوهر الفرد من الكهربائية الايجابية . والعلماء مختلفون الآن في جوهر الكهربائية الايجابية فيقول فريق منهم انهُ كرة متماثلة الاجزاء تدور فيها الالكترونات في مدارات منتظمة وحجم هذه الكرة يماثل حجم الجوهر الفرد من المادة . وقال غيرهم ان جوهر الكهربائية الايجابية مؤلف من نواة ايجابية تحيط بها الكترونات اكبر منها . وقال آخرون ان الجواهر السلبية والجواهر الايجابية هي مثل الشيء وصورته التي تظهر في المرآة . ولا يعلم حتى الآن كيف تجمع جواهر الكهربائية حتى تكون منها جواهر المادة

والمظنون ان المغنطيسية مؤلفة من جواهر فردة وقد سمي كل جوهر منها مغنطون قبل ان يكتشف

والظاهر ان هذا التجزؤ الى جواهر او دقائق شامل للاجسام الحية ايضاً فان دقائقها هي الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان والنبات ولكل خلية اجزاء معلومة كالنواة والنوية والجدران وهي تشير الى وجود الانفصال . وقد ثبت الانفصال بناموس متدل في الوراثة وتنوع النسل بتنوع الخلايا التي تنتقل اليه

فما يقال من ان الطفرة في الطبيعة محال مردود والثابت نقيضهُ اي ان كل شيء يحدث بالطفرة والوثوب من شيء الى آخر ومن حالة الى اخرى لكن لا شبهة ايضاً بوجود الاتصال وهو اساس النشوء كما يقول كل علماء البيولوجيا فلا فاصل بين الانواع والتسلسل متصل من ادنى انواع الاميبا الى الانسان

ستأتي البقية

(١) تجد خطبته حينئذٍ في مقتطف نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٩٩

الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الاصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ . وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقوّمة لكيان المملكة وحفظ المجتمع وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان التي استولت كما استولى غيرها على الاذهان ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع اركان الوطنية وتبدد عناصر القومية وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة . ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في ما يلي انهُ حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان اشد تأثيراً فيهِ من العقل واذا اندسّ في اخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لا يزحزح الاّ بعد جهد وعناء شديدين . واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شقّ على العقل والعلم نقضها وانتزاع الجمهور بفسادها لان الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة واشد منها تمكناً واستمساكاً بدليل ما نرى منها الى الآن في عادات ارقى الامم مدنية واعلاها علماً وادباً . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيهِ الوهم على الحقيقة فيعطونها ما ليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لا تعتبر في نظر علماء الاجتماع الاّ حيلاً سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتمهيد القوة الحاكمة . وهي تظهر باشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستكثار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحوّل الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في اوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا . وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها . فاذا خلا الذهن من تلك الاكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولم احد من النحو لا يمكن توقيفهُ او منعهُ كما انهُ لا يمكن توقيف المد والجزر او منع حرارة الشمس في ابان الحرّ . على ان من الضلال الفاضح ان يكون اساس الجنسية الاساس الذي وضعتهُ السلطات الحاكمة وتحاول ان ترسخ

في الاذهان ان اقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيتهُ ويجعلهُ شريداً طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو اساس الجنسية ؟ وما هي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا الى الانثروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منهُ حل المسئلة لم نجد فيهِ ما يفي بالغاية لان علماء الانثروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد اصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهورهِ في بقعة اخرى وان ما بين الاسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لا يحل المسئلة حلاً شافياً عدا عن انهُ لا يخلو من النقد ولم يتفق عليهِ علماء الانثروبولوجيا . اما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود الجنسية ويسبب لكل شعب صفات خاصة تميزهُ عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الا صفات خارجية لا تدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الابيض افراداً كباراً وصغاراً وشعراً اشقر واسود وعيوناً زرقاً وسوداً ومزاجاً بارداً وحاراً . واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية تقرب ان تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيتهُ كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة التحف والوجه

فهذه الصفات التي يعتمدون عليها اهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة . تدلنا على ذلك احوال الولد الذي ينقل طفلاً من قومهِ ويربو ويعيش في وسط آخر بعيد عن اهلهِ فانهُ يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيهِ اثر من صفات قومهِ لان تلك الصفات اعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومهِ ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة تواقيعهم وكما ان الايوبيين وهم اكراد صاروا اشد نعرة للعرب من العرب انفسهم وكان منهم شعراء وعلماء واجازوا الشعراء ووقف منهم على ابوابهم ما لم يقف على ابواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق

الروح العربية من اتقانهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة الماليون من اصل فرنساوي تفتخر بهم المانيا وقام الماليون في فرانسا وايطاليون في انكلترا وقس عليه . فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهرياً لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى برانديورج اصبحوا من افضل الالمان والهولانديون في استردام الجديدة صاروا اميركيين لا غبار على وطنيتهم . اي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبقَ فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية اقل اهمية لانهُ يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة اي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على مواطنيهم من الواجبات . فالانثروبولوجيا ليست اساساً للجنسية وكل ما يقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا ان يجعلوا اساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا ان ما يجعل الناس اعضاء امة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح . الاَّ ان ذلك نظرية سفسطية تصح قولاً ولا تثبت فعلاً لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونهِ بولونياً مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة . والفينلاندي يعتبر جنسيتهُ غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعباً واحداً ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة ايضاً . لا ريب في ان الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعوراً بالتضامن الاَّ انها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق اخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتمالي تضرب بهِ الحقيقة عرض الحائط . فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الاَّ ما ندر والشرائع والنظامات لا تحدد الجنسية حدًّا صحيحاً فاصلاً بالرغم عمَّا لها من التأثير في الاخلاق بل ما يحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكرهُ وشعورهُ وبها يقتبس منهج الشعب الذي كوَّنها واتمها ووضع فيها اسرار عقلهِ ونفث فيها نسمات روحهِ وكساها بادق خصوصياتهِ العالية . وبها يصبح ابنًا ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب وبها يشابه قومهُ فكراً وعملاً لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها . وهي بالحقيقة الانسان كلهُ لانها سلك الايصال للدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي . فمن

بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومه فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنهُ ما انتجهُ فريحتهُ الذكية ويتلون باللغة ما لا يتلونهُ باية آلة او واسطة اخرى . فاللغة هي اقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان اخوين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان بعيدين احدهما عن الآخر اكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الاندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ بناهز الستين تتقاذفهُ عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « يا اشقاوتي هنا ابناء وطني يتكلمون العربية وانا اموت حسرة في الاستانة » قلنا ومن اين الشيخ قال من بغداد قلنا واين سورية من بغداد قال تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ويشعران بانفسهما انهما ابناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولنديين وتفتت المآ رغماً عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن . وفي حرب ١٨٧٠ تشيع اهل سويسرا وبلجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية . وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويمقتونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الا ان هذا اللاشيء هو كل شيء

وفي اللغة عنوان وفي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تتخذ اهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل اهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة باحكامها لان في مثل هذه الحال لا تحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد ايضاً لانهُ لا يحق لهم ان يفرغوا ما في قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الاَّ ما يلزم التروبين للتفاهم او للهذر والمزاح او للتأوه والتحسر والشتم . وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسدّ سبل التهذيب ويقفل ابواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها . والشريف في الامة لا يرى ما يدعوهُ الى التعلُّم لان حقوقهُ يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون ان يفتح فماً او ان يفسح قلماً في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة الاَّ ان الاحوال تغيَّرت في

هذه الايام حتى في روسيا وتركيا واصبح لكل فرد من افراد الرعية حق الدفاع عن نفسه وان يعلو فوق الحد الذي وضعتهُ فيهِ احوال ولادتهِ . ولفتت ابواب التعليم وانتشرت الجرائد واعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورقت حواشيها وسمت آدابها وامعن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك انفسهم اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال واصبح كل عقبة تقف في سبيل استعمال اللغة الخاصة بالامة او كل ضغط يوجب استعمال لغة اجنبية عاراً وعنفاً لا يحتملان . ومن كانت جنسيتهُ الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغتهُ غير اللغة الرسمية وحُظر عليهِ استعمال لغتهِ وأُجبر على استعمال لغة اجنبية فانهُ يشعر بألم لا يعرفهُ الاَّ من مرَّ بهذه الشقة ويعاني مشقاتها لانهُ يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى او كمجرم محكوم عليهِ بالنفي . وما من احد في الكون يرضى بحرمانهِ من اهم قوة في الحياة بها يبث شعائرهُ ويعبر عن افكارهِ . وما الحرمان من القالب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي بهِ تحبس قوى العقل في نفس يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فنكران اللغة نكران للانانية لا يرضى بهِ الاَّ من سفلت طباعهُ وتدنى الى ان يختفي ويغير وجههُ بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضحي حقوقهُ ويدوس على اقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل او الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تحمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة ان تجعل لغتها اللغة الرسمية وان تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لا تستطيع ان تمنع حركة الافكار التي تتهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان اصبح مجحفاً لا مسحة عليهِ من الانسانية بدلاً من ان يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامهِ

لا يمكن ان تقنع انساناً ذا عقل سليم بقطع رأسهِ ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حيَّة بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت فما هو العلاج الشافي لذلك . هذه مسئلة من اعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الاَّ بالطرق الراهنة التي لا اشكال فيها ولا تمويه

افضل حل يرتأيهِ رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة . وهو حل مقبول يجب التسليم بهِ الى ان يظهر افضل منهُ لانهُ نظري اكثر مما هو عملي فاللامركزية قد يمكن

تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في بلجيكا ويسر او يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على اكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع منسجم في جسم المملكة لان التساوي بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن الجان البلدية الى المجالس النيابية عدا ما يوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك الروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغتهُ يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم ابناء الوطن الواحد الى قسمين احدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لا ينال بالاتفاقات المبرمة والعقود الموجة وان عقدة الاشكال فيها لا تحل بالطرق التي ذكرناها حلاً يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنا فيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ما عداها لا يفيد الاَّ لتهدئة ثائرة الخواطر الى اجل معلوم لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لا بد من ان يجري مجراهُ وينتهي بالهزيمة او بالموت او بالفوز ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي ان لا يقبل الوعود بالامتيازات وان يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي فاما لا شيء واما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكن في ما مضى من الزمان كما تكمن النار في الحطب وقد هب من سباتهِ ليسترد القوة التي سُلبت منهُ لان الجنسية المسلوبة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الاَّ اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوةً ويستولي على اهلها ويستبد باحكامها الاَّ انهُ اذا لم يكن لهُ قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يمحُ لغتهُ بقي دائماً في خطر من القيام عليهِ واذا كان المغلوب اكثر منهُ عدداً قد يطردهُ من البلاد او ينزع السلطة منهُ ويرغمهُ على انكار جنسيتهِ واما في المهاجر فتغلب القوة بطريقة لا تبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا

اقوياء وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم والاَّ فاما ان ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد او ان يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون به ويحافظون فيه على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون افضل حلّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال وكلاهما لا يتمان الاَّ بالقوة والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات او بعدها بمدة وكانت الفترات بين الفصول طويلة الاَّ انها لا تطول الى الابد فقد ارخي الستار على المشهد الاخير ليحضَّر بعده مشهد من اشد المشاهد هولاً تمثل فيه معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة

لا يوجد ناموس في الدنيا يحذر على الكائن الحيّ الاحتفاظ بشروط كيانه ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً تخلَّ عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعهُ الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوّلهُ افتراسهُ . على ان للخروف ايضاً حقًّا بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة او في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسه اي تجيز لهُ في بعض الظروف ان يدافع عن حقه بالقوة . والحرب ليست الاَّ دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب ان شيئاً يلزم لحياته او لكماليَّاته فيمد يدهُ الى ذلك الشيء ويكون حقهُ به كحق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذه اي يستعمل القوة للدفاع عن حقه وليس للمغلوب منعا ان يشكو بل عليه ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضاً وحكم عليه بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليه الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الخروف لانهُ لا يستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تُسلَب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها به . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها ومنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لا يتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيه امة مخصوصة

اذ لا غرض لي بالسياسة ووجهتي فيه الوجهة العلمية الاجتماعية فالمّ بالمسئلة من كل اطرافها واطلقهُ على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهميا وعلى الدمركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في پوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والطليان في الترانتين ولا استثني العرب في تركيا . فالخمس الملايين من الجرمان لهم الحق ان يحولوا الى مجر الاحد عشر مليوناً المغايرين لهم الدين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقرار الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤. الاّ ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضاً بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقضي عليهم ان يرضخوا لما قُدّر لهم منذ اكثر من الف سنة . والشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضاً بان يقاوموا بالقوة قوة اكبر وان يشهروا حرباً ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للشك نهائياً انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرناً ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحنُ اليهِ ونحافظ على وحدتهِ وكيانهِ فاقول . ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوساً ينخر في جسم المملكة وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما جنسيات صغيرة ليس لاحداها او لمجموعها من القوة ما يخشى منهُ على نزع السيادة من الامة السائدة ويُقدّر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والاّ كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلاً فاجلاً تلك سنة الكون لا تنقضها سياسة الرياء ولا تحولها عن مجرها الوعود الكاذبة والعقود المرقمة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لا بد ان تختم بمشهد تشهدهُ اوربا تمثل فيهِ المذابح والشرور والجرائم وبجانبها الشجاعة والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تحنُّ الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلاً فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيهِ الامم الصغيرة وتباد الفروع التي

ليس لها قوة كبرى من جنسها تفزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها وتثبت الامم الكبرى التي لا يقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء كما تحكم على النقاعيات في الماء واذا هلكت بها امة فلأن ليس لها قوة تساعدها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

الدكتور
امين ابو خاطر

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي الدولي السابع عشر

ان اجتماعنا هذا في البلاد الانكليزية لغرض علمي حتى نشترك في عمل يعود بالنفع العميم على نوع الانسان يسرنا كلنا و يولينا شرفاً عظيماً لاننا مجتمعون في البلاد التي تبغ منها رجلان من اعظم الرجال في كل عصر ادورد جنر ولورد لستر فاتب العمل العظيم الذي عملهُ جنر فكسر به شوكة الجدري ذلك الوباء الرهيب لا يزال يتلألأ بهاء منقطع النظير مع انهُ بدا في عصرهِ كهُ ظلمات . ولما اجتمعنا آخر مرة التففنا حول لورد لستر معجبين به لانهُ باستعماله مزيلات العدوى حوّل الجراحة من حال الى حال تحويلاً لا مثيل في تاريخ الطب . في البلاد التي أنشئ فيها اول معهد للبحث عن امراض البلدان الاستوائية برئاسة السر فردرك منسن بجاه مثالاً لما انشئ على منوالهِ من المعاهد . والتي نشأ فيها روس الذي تناول اكتشاف لافران لسبب الملاريا وعمل من الاعمال المهمة ما فتح سبلاً صحية جديدة لمقاومة الامراض التي تنتشر في البلدان الحارة والبلدان المجاورة لها . وكلنا يعلم كيف اثبت كاستلياني ان سبب داء النوم نوع من الحلم المعروف باسم التريبانوسوم Trypanosome وكيف بحث بروس في الامراض الحادثة من انواع التريبانوسوم وبحث لشمن في سبب المرض المعروف بالكلا ازار . وقد ثبت فعل الانوكسيل العلاجي في الامراض التريبانوسومية اولاً في معهد الامراض الاستوائية بلفربول اثبتهُ توماس وبريتل . وقال بلمر حديثاً بالطرطير المتيء كواسطة فعالة في معالجة الامراض المسببة عن الحلميات داخل الجسم

وكلنا يعلم ايضاً ما اشتغل به السر الموريث ريط مدة حياته اي بحثه في المعدّات[1] وفي العلاج الواقي من التيفويد . وقد جرى العمل به فافاد فائدة كبيرة جدًّا . وهذه الامثلة القليلة التي ذكرتها وفي طاقتي ان اذكر كثيراً غيرها ترينا المنزلة العليا التي حازتها انكلترا في مقاومة الامراض المُعدية . ولقد كان شفاء هذه الامراض ومنع انتشارها اسمى الاغراض التي سعى اليها الاطباء في كل العصور ولكن السير في هذا السبيل على خطة قانونية منتظمة لم يصر ممكناً الاَّ منذ عهد قريب لاننا صرنا نعرف شيئاً عن حقيقة العدوى وسبب الامراض والوسائل التي تنتقل بها . والفضل في وصولنا الى هذه المعرفة عائد الى كل الذين اشتغلوا فيها من كل الامم المتمدنة . وبذلك تمكنا من ايصال الامراض الى الحيوانات وامتحان العلاجات فيها على اسلوب علمي . ولقد كان العلاج الكيماوي معروفاً منذ نشأت صناعة الطب لان كل العلاجات التي نستعملها مواد كيماوية . ولكن لم تتهيأ الوسائل للتجارب العلمية في العلاجات الكيماوية الاَّ لما مهّد السبيل لما على ما تقدّم و بقي لنجاحها اربعة شروط وهي الصبر والحذق والسعد والمال ولعلَّ هذا الاخير اهمها

والآن يا سادتي اسمحوا لي ان ادخل بكم معملاً من معامل العلاج الكيماوي فاقول ان المبدأ الذي بني عليه هذا العلاج طبيعي بسيط جدًّا وهو ان بعض المواد الكيماوية تفعل بالميكروبات فتقتلها وقد لا تقتلها بل تبطل فعلها فسميت كلها قاتلات الميكروبات توسعاً . مثال ذلك السلفرسان (العلاج ٦٠٦) او املاح الزيبق فانهُ لا يقصد بها قتل الميكروب مباشرة بل ابطال فعلهِ بجعلها الجسم يفرز مادة مضادة للميكروب . فاذا مزج السلفرسان الجديد بميكروبات مرضية مثل ميكروبات الداء الزهري بقيت هذه الميكروبات حيَّة متحركة ولم تضعف حركتها لا لان السلفرسان لم يؤثر فيها بل لان تأثيرهُ لا يظهر بقتلها . ولكن اذا مزجت هذه الميكروبات بمصل لا يضرُّ بها في انبوبين من انابيب الكشف واضيف الى احدهما شيءٌ قليل من السلفرسان ثم نزع المصل منها وغسلت جيداً وغسلت التي في الانبوب الآخر وحقن بكل منهما فارة فالفارة التي حقنت بالميكروب الذي كان معهُ السلفرسان تبقى سليمة واما الفارة الثانية التي حقنت بالميكروب الذي لم يكن معهُ سلفرسان فتصاب بالمرض الذي يسببهُ ذلك الميكروب . وهذا دليل قاطع على ان السلفرسان ابطل فعل الميكروب ولو لم يقتلهُ

---

[1] المعدات Opsonin كلمة وضعها السر الموريث ريط لمواد تعد الميكروبات المرضية لتأثير العلاج فيها كما يعد الخلُّ الطعام للهضم

فكيف فعل السلفرسان بالميكروب اي ما هي حقيقة هذا الفعل . بحثنا في ذلك بحثاً طويلاً قبل ان انجلت لنا الحقيقة لاننا لم نرَ من الصواب ان نكتفي بما ظهر لنا بل رأينا انهُ يجب ان نستقصي فعل العقاقير لنرى كيفية تأثيرها في الميكربات والقاعدة التي تجري عليها فوجدنا ثلاثة انواع من العقاقير تصلح لتجاربنا

الاول المركبات الزرنيخية وهي الحامض الزرنيخوس (او طعم الفار) والحامض الارسنيليك (او الانوكسيل) والارسينوفنيلغليسين (او السلفرسان والنيوسلفرسان)

والثاني الاصباغ الازوية مثل الثربان الاحمر والتربان الازرق

والثالث الاصباغ التي من نوع الفخسين وبنفسجي المثيل

فاذا اكتسب نوع من الميكروبات عدم التأثر من الفخسين لم يعد يتأثر من كل ما كان من نوع الفخسين من العقاقير ولكن هذا لا يمنع تأثرهُ من عقاقير النوعين الاخرين اي المركبات الزرنيخية والاصباغ الازوية ولذلك فالمناعة على انواع مختلفة مستقلة حسب العقاقير الكيماوية التي تسببها فهي اذاً فعل كيماوي . والبحث في التكسين والاتيتكسين ادّى الى هذه النتيجة ايضاً فان التكسين اي المادة السامة تفعل فعلها بقبضها على النواتئ التي تنشأ من حواشي الخلايا وقد سميتها بالقوابل[1] وهذه القوابل هي المواد التي تعارض دقائق السم في فعلها وتكونها الخلية الحية بكثرة فتشبع السم وتزيد عليهِ فيكتسب الجسم بها المناعة . وقد ارتبت اولاً في حسبان فعل المواد الكيماوية من قبيل فعل القوابل المشار اليها ولكن مباحث لتفلي ازالت هذا الريب من نفسي . والمرجح الآن ان القوابل الكيماوية مثل القوابل الفسيولوجية وان في الميكروبات ونحوها من الخلميات قوابل كيماوية مختلفة . فالقوابل الزرنيخية منها تؤثر في مركبات الزرنيخ والقوابل الخلية تؤثر في مركبات الحامض الخليك والقوابل الارثوأميدوفنول تؤثر في السلفرسان وهلم جرًّا . واذا عرفنا ما هي قوابل كل الميكروبات حق لنا ان نقول اننا عرفنا فسيولوجيتها الدوائية وهذا امر لازم للعلاج الكيماوي . ولا بدَّ لي من القول ان بعض القوابل الكيماوية غير خاص بنوع واحد من الميكروب بل يوجد في انواع مختلفة . ومعرفة ذلك ضرورية جدًّا لان الدواء الذي يفيد في الواحد يفيد في غيرهِ ايضاً مما فيهِ تلك القوابل . وكلما كثرت القوابل وتنوعت زاد الامل بوجود دواء كيماوي لها

فاذا فتشنا عن الادوية النوعية لمرض من الامراض وجب ان نفتش عن العقاقير التي فيها ما يناسب قوابل ميكروبات ذلك المرض وهذا شرط ضروري ولكنهُ غير كافٍ وحدهُ

(١) انظر تفصيل ذلك في المجلد ٤٣ من المقتطف والصفحة ١٥٢ وما بعدها

لان المادة قد تلصق بالميكروب ولكنها لا تميتهُ فيجب ان تكون جامعة للشرطين ولو بتركيبها من مواد مختلفة فتصير مثل السهم المسموم فالتصاقها بقوابل الميكروب بمثابة نصل السهم الذي ينشب في البدن وامانتها للميكروب بمثابة السم الذي في النصل . وقد جمعت هاتان الخاصتان في السلفرسان فانهُ مركَّب من الاميدوفنول وهو بمثابة نصل السهم والزرنيخ وهو بمثابة سم السهم وفيهِ ايضاً شيءٌ من البنزول وهو بمثابة صدر السهم اي الخشب الذي بين الريش والنصل وهو لدفع النصل في البدن

والسم الذي في نصل السهم المسموم مركَّب من مواد قلوية ونحوها تؤثر في بعض اعضاء البدن تأثيراً ضارًّا وكذلك المادة السامة التي في الدواء تسم خلايا الميكروب المرضي بما فيها من الالفة الكيماوية لتلك الخلايا . ومن المعلوم ان كل مركبات الزرنيخ التي فيها خمسة جواهر من الاكسجين تكون مشبعة منهُ فلا فائدة علاجية منها واما المركبات التي فيها ثلاثة جواهر من الاكسجين كالحامض الزرنيخوس ونحوهِ فلا تكون مشبعة من الاكسجين فتبقى لها الفة لغيرهِ وتكون منها فائدة علاجية اي يكون لها فعل في قتل الميكروبات . ومن هذا القبيل فعل اكسيد الكربون الاول واكسيدهِ الثاني فان الاول سام كثيراً لانهُ غير مشبع من الاكسجين واما الثاني فغير سام على نوع ما لانهُ مشبَّع من الاكسجين . ومن هذا القبيل بعض الاصباغ فانها قبلما يظهر لونها تكون مشبعة فلا تسم كما تسمُّ بعد ما يظهر لونها . والخلاصة ان المركبات غير المشبعة يكون فيها عناصر غير مكتفية بما حولها فتفعل بما يتصل بها

من العادات المتبعة عند بعض المتوحشين انهم لا يكتفون بطلي نصال سهامهم بسم واحد بل يطلونها بسمين او ثلاثة من السموم المختلفة الانواع لكي لا تبقى شبهة في انها تصير قتَّالة وطبعنا ان نجري مجراهم ونحضر ادويتنا القتالة لليكروبات من سموم مختلفة لكي لا تبقى شبهة في فعلها . وهذا الذي يجب ان نفعلهُ في استحضار الادوية الكيماوية او السموم الدوائية التي لقتل الميكروبات . ولو اريد قتل الميكروبات خارج الجسم لما كان في الامر صعوبة ولكن اذا اريد قتلها داخل الجسم فهناك الصعوبة الكبرى فاذا اريد تطهير غرفة فارغة وقتل ما فيها من الميكروبات المرضية فالامر سهل الآن ولكن اذا كانت الغرفة مملوَّة من الاثاث وكان اثاثها ممَّا يتأثر جدًّا بفعل المطهرات كما تتأثر الخلايا الحية زادت الصعوبة جدًّا كما لا يخفى . وقد علم ان المواد التي تفعل بالميكروبات فعلاً شديداً جدًّا وهي ذائبة في الماء حتى ولو كانت مخففة جدًّا لا تفيد فائدة دوائية لانها تسم خلايا البدن كثيراً او قليلاً فهي تسمُّ للميكروبات وتسم الجسم ايضاً

ستأتي البقية

الرغبة سر النجاح

ما من احد ولاسيما اذا كان كهلاً او شيخاً الاَّ وهو يعرف اناساً نجحوا في اعمالهم نجاحاً كبيراً واناساً نجحوا نجاحاً متوسطاً لا هو بالكبير ولا هو بالصغير واناساً فشلوا ولم يفلحوا فبقوا على حالة واحدة او كانوا في حالة اصلح من الحالة التي صاروا اليها

اذا التفت الى الذين عرفهم منذ ثلاثين سنة مثلاً وكانوا شباناً فصاروا كهولاً رأى بينهم اناساً كانوا من عامَّة الطلبة الذين لا يؤبه لهم او من صغار المستخدمين او صغار العمال او صغار التجار او صغار الملاك وهم الآن إمَّا من نظَّار الحكومة او من كبار موظفيها او من اصحاب الاشغال الكبيرة او الاملاك الكثيرة او المتاجر الواسعة . ورأى ايضاً اناساً من اترابهم كانوا مثلهم او ارقى منهم وهم الآن على ما كانوا عليهِ او احط شأناً . واذا سألت الذين نجحوا عن اسباب نجاحهم والاساليب التي جروا عليها او بحثت عن هذه الاسباب بنفسك ودونتها في كتاب وخصصتها في قواعد كلية وسلمتها لفئة شاب ليعملوا بها فالغالب ان قليلين منهم يفلحون كما افلح الذين نقلتها عنهم والباقون يقرأون تلك القواعد وقد يحاولون العمل بها ولكن تتولاَّهم السآمة حالاً فلا يفلحون واذا بحثت ودققت وجدت لذلك سبباً جوهريًّا وهو ان نجاح الذين ينجحون لا يكفي فيهِ اتِّباع القواعد التي دونتها بل لا بدَّ لهُ من سبب آخر لا يدخل تحت قاعدة وقانون وهو الرغبة في العمل

من شروط النجاح في كل عمل معرفة قواعد ذلك العمل والجري عليها والمهارة في ادارة العمَّال والتدقيق في حساب الدخل والخرج والاحتفاظ باوقات العمل ومواعيدهِ وترتيب كل ما يتعلَّق بهِ ونحو ذلك ممَّا يشمل كل الاعمال او يختلف باختلافها . ولكن القيام بهذه الشروط كلها يفضي الى نجاح عادي معتدل واما النجاح الكبير التي يتفوَّق بهِ البعض على اقرانهم فيصيرون رؤَساء يشار اليهم بالبنان فلا بدَّ لهُ من شرط آخر كما تقدم وهو رغبة فائقة في العمل تمتلك صاحبها حتى تصير هوَساً فيهِ وقد تصرفهُ عن الاهتمام بسائر الشؤون

اذا كان القارئ من سكان هذه العاصمة وقد بلغ الثلاثين او الاربعين من عمرهِ وادار نظرهُ الى ما حولهُ رأى امثلة كثيرة تنطبق على ما تقدم رأى وزراء كانوا بالامس وكلاء نيابة والذين كانوا رؤَساءهم لم يتزحزحوا عن مراكزهم وتجاراً عندهم مئات الالوف من الجنيهات ولم يكن عندهم منذ ثلاثين سنة عشر معشار ذلك وغيرهم من جيرانهم لم يزالوا في

الحالة التي كانوا فيها وملأ كاً اشتروا الوف الافدنة او بنوا عشرات البيوت ولم يكونوا شيئاً مذكوراً منذ ثلاثين سنة ومئات من معارفهم لم تزد ثروتهم شيئاً او قلت عما كانت عليهِ . واقلُّ بحث يريهِ ان كل واحد من هؤلاء الناجحين لم ينل ما نالهُ الاَّ بالتعب والنصب والجد والاجتهاد واغتنام الفرص . وما منهم من جرى على الطريق المطروق الذي يجري عليهِ سائر الناس بل حاد عنهُ واختطَّ لنفسهِ طريقاً جديداً . فان كان الموظف العادي يأتي الى ديوانهِ في الميعاد المعين او بعدهُ ولا يتأخر لحظة عن الميعاد المحدَّد للانصراف بل يتوقعهُ بفروغ صبر وهو يفتح ساعتهُ دقيقة بعد اخرى حتى اذا حان الوقت رأيتهُ مسرعاً الى بيتهِ فيأكل وينام ويقضي بقية يومهِ في قهوة او ملعب ولا يحيد عن الخطة المحددة لهُ لحظة . فالموظف غير العادي يباكر ديوانهُ ويعمل اعمالهُ واعمال غيرهِ ويأسف لضيق وقت العمل فلا يكتفي بما يعملهُ في الديوان بل يحمل اضعافهُ في بيتهِ ويغوص في عملهِ حتى يستجلي اسرارهُ ويذلل صعابهُ ويتملك قيادهُ ويصير بحيث يتعذَّر الاستغناء عنهُ . ويشغل وهو في المركز الواحد مراكز اعلى منهُ حتى اذا فرغ مركز منها كان هو الكفوُّ المستعدُّ لهُ . وقد يرتقي البعض الى المراكز العالية على غير هذا النمط ولكن ذلك نادر لا يقاس عليهِ

والتاجر الذي بلغ درجة عالية من النجاح لم يبلغها الاَّ لانهُ كان يلازم مخزنهُ من الصباح الى المساء ويتنبه لكل ما يروِّج بضائعهُ ولا يترك فرصة تضيع سدًى . ويبث الغيرة والنخوة في نفوس مستخدميهِ فيعمل الواحد منهم اضعاف ما يعملهُ لو كان رئيسهم كسولاً مهملاً . واذا وجد من يعتمد على رأيهِ او حكمهِ منهم قرَّبهُ اليهِ ورفاهُ واستعان بهِ على توسيع عملهِ

وقس على ذلك كل الذين نجحوا في الاشغال المختلفة من الحرف العادية الى ارقى مراتب العلم والفلسفة

يحكى عن لورد كلفن العلاَّمة الانكليزي المشهور انهُ كان شديد الرغبة في كل اشغالهِ مهما كان نوعها وفاق الثمانين وبقي على هذه الرغبة كأنهُ شاب في مقتبل العمر . اتاهُ ذات يوم رجل اميركي يستشيرهُ في امر ولما قرع الباب وطلب مقابلتهُ قال لهُ الخادم انهُ مشغول الآن جدًّا ويتعذَّر عليهِ ان يقابل احداً فقال للخادم قل لمولاك اني اتيت من اميركا لاستشيرهُ في امرٍ لهُ شأن كبير عندي فدخل الخادم واخبرهُ فقال لهُ ايتني بهِ

وكان هذا الرجل قد خطر لهُ خاطر في اصلاح السمنت وكاد يبلغ مبتغاهُ ولكن اعترضتهُ مشكلة تعذَّر عليهِ حلها فاستعان بارباب الفن من الكيماويين والطبيعيين ونحوهم وانفق في هذا السبيل النفقات الطائلة ولم يعد بطائل . وكثيراً ما كان يتعذَّر عليهِ فهم الذين استشارهم

لكثرة ما يستعملونهُ من المصطلحات العلمية اما لورد كلفن فلحال اهتمّ بالموضوع فسألهُ بعض المسائل بلغة بسيطة خالية من التعقيد ثم قال لهُ ان المادة التي تطلبها سائل موجود في المانيا وهو هناك الآن من النهايات التي لا قيمة لها بل هو عبء ثقيل على الذين يخرج من معاملهم فيودّون التخلص منه باية وسيلة كانت. ثم اخبرهُ اين يجد ذلك السائل فذهب الى المانيا وملأ منهُ صندوقاً من الصفيح وعاد بهِ الى لورد كلفن فقال لهُ اللورد ضعهُ الليلة في اناء كبير من الماء وفي الصباح يصير الماء صالحاً للعمل . فذهب الرجل وثقب الصندوق ليصبَّ السائل منهُ فلم ينصب فعاد الى لورد كلفن يشكو اليهِ امرهُ فقال لهُ ان السائل قد تبلّور الآن ولا بد من شق الصندوق حتى يُخرَج منهُ . ففعل وافرغ هذه البلورات في اناء كبير من الماء واتى بهِ في الصباح الى لورد كلفن والظاهر انهُ ماء صرف لا شيء فيهِ فابان لهُ لورد كلفن ان المواد التي كانت ذائبة في الماء وتمنع تجمد السمنت قد رسبت منهُ الآن في قاع الاناء . وكان كما قال وصار الماء صالحاً للغرض الذي ارادهُ واثبت لهُ ذلك بالامتحان واستمرّ يعاونهُ في الامتحان من الصباح الى ما بعد الظهر واخيراً فتح الاميركي ساعة فوجد انهُ مضى خمس ساعات مرّت عليهِ كأنها خمس دقائق لشدّة رغبتهِ في العمل ولم يكن لورد كلفن اقل رغبة منهُ . ولما رأى هذا الرجل انهُ فاز بمراده عرض على لورد كلفن مبلغاً طائلاً من المال جزاء خدمتهِ لهُ فابى ان يأخذ منهُ شيئاً . ولولا الرغبة الشديدة في المباحث العلمية ما انقطع هذا العلامة وهو شيخ كبير السن للعمل خمس ساعات متواليات في موضوع ليس لهُ منهُ الا فائدة ومنهُ لغيرهِ فائدة تقدّر بمئات الالوف من الجنيهات

لقد كانت رغبة الناس مصروفة في العصور الغابرة الى التفوّق في العلوم والفنون والسياسة . فكان اقصى ما يتمناهُ الرجل لابنهِ ان يصير اميراً او وزيراً او قائد جيش او حبراً جليلاً او عالماً كبيراً ولم يكن للزراعة والصناعة والتجارة شأن كبير عندهم حتى يُرغب فيها اما الآن فصار لارباب هذه الاعمال الشأن الاكبر والقدح المعلّى بل صار الملوك يتنافسون في اقتناء الضياع والاشتراك في المعامل اي صار المال قبلة لكل الاعمال وصار كعبةُ الغاية التي يسعى اليها كل احد . فاذا استطاع الاميران يقتني الخيول المطهمة ويبني القصور المشيدة ويجمع حولهُ الخدم والحشم فالتاجر الذي اثرى من تجارتهِ او العامل الذي اغنى من عملهِ يستطيع ذلك واكثر منهُ . وكثيراً ما ترى ملوك اوربا الآن ووزراءها ولوادها في ضيافة رب تجارة اورب معمل ينظرون الى قصوره مدهوشين من فاخر اثاثهِ ورياشهِ ويعجبون بغناهِ ويودّون ان يكون عندهم مثلهُ

وقد يظن لاول وهلة ان النجاح في العمل اساسهُ التوفيق والصدف وانهُ لا يقتضي مهارة فائقة في ادارة العمال ومعرفة طبائع الناس واخلاقهم لان كثيرين نجحوا وهم ليسوا على شيء من المهارة او لا يفوقون غيرهم في شيء وانما خدمهم السعد على حد ما قيل

يخيب الفتى من حيث يظن غيرهُ ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبهُ

ويظن غيرهم ان هذا النوع من النجاح محصور في كسب المال وجمعهِ وان الاعمال كلها امست ولا شيء فيها مما يستحق ان توجهُ اليهِ همة الاماجد الاماثل او يرفع النفس عن حطام الدنيا فاين عبيد المال من الذي مدحهُ ابو تمام بقولهِ

لم يؤثر الذهب المربي بكثرتهِ على الحصا وبهِ فقرٌ الى الذهبِ
ان الاسود السود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلبِ

ولكن مطالب الحياة كلها اصبحت في هذه الايام اشغالاً تدار كما تدار الاعمال الصناعية والتجارية حتى الامارة والامامة واصبح العلم والاختراع خادمين لها وهي محور العمران وعليها مدار المسائل الاجتماعية كالصحة العمومية ومساكن العمال واساليب النقل والانتقال ونشر العلوم والمعارف بل عليها يتوقف الاستقلال السياسي والدفاع الوطني . ولا يفلح في هذه الاعمال الاَّ من تملكتهُ الرغبة الشديدة فيها . وقد يتقلب المرء في انواع مختلفة من الاعمال ولا يفلح فيها الى ان يصل الى العمل الذي لهُ رغبة فيهِ فيطمئن اليهِ ويجري فيهِ جري السوابق

يحكى انهُ اجتمع مرةً جماعة من ارباب الاشغال الكبيرة للبحث فيما يتعلق باشغالهم وترسيمها واجتمع معهم شاب لهُ معمل صغير جدًّا لا يكفي لما فُطر عليهِ من حبّ التوسُّع في الاعمال فانصرف الى السياسة وجعل يخطب الخطب السياسية في الانتخابات العمومية انتصاراً لمن برزَ انتخابهُ . وكان من المجتمعين رجل من اهل الاثانية مشهور باستبدادهِ في رأيهِ وايثارهِ نفسهُ على غيرها وكان قد اشتغل سنين كثيرة وكسب مكاسب طائلة وجعل يضرب في الاقطار ويعود الى معاملهِ آونة بعد اخرى باساليب جديدة فيغيرها ويقلبها رأساً على عقب ولا يبالي بما يلاقيهِ العمال ومديروهم من العناء . فلما اتمَّت الجماعة حديثها وتمكنت منها السآمة واستولى عليها النعاس لان المتكلمين لم يتكلموا الاَّ كلاماً عادياً وصل الدور الى ذلك الشاب وكانت خطبهُ السياسية قد جعلتهُ طلق اللسان قوي الحجة فكه العبارة فاخذ لبهم بحديثهِ وما قصَّهُ عليهم من القصص وانتقل بهم من موضوع الى آخر وابان لهم علاقة اشغالهم بسياسة بلادهم وعزتها ومجدها ومستقبلها فاصغوا اليهِ معجبين بهِ وموَّمنين على كل ما قالهُ .

وللحال خطر لذلك المثري المشهور بالاثانية ان يستخدمهُ مديراً لمعاملهِ وكان كذلك واعطاهُ

راتباً كبيراً جداً فوجدت رغبتهُ في ادارة الاشغال قبلتها التي تود الاتجاه اليها والقطب الذي تدور حولهُ فاحسن ادارة المعامل وسياسة العمال وصار صاحبها طوع بنانهِ فانتظمت امورها وزادت ارباحها

وتختلف اميال الناس ورغباتهم اختلافاً كبيراً فبعضهم يرغب في ادارة الاعمال وتنظيمها فينشئ مسكك الحديد ويرى بزكانتهِ ما تصير اليهِ حال البلاد بعد عشرين سنة وما تقتضيهِ حينئذٍ من وسائل النقل وبعضهم تقتصر رغبتهُ على تنظيم دفاتر المحل وحساباتهِ. وبين هذين الطرفين درجات كثيرة ورجال مختلفون وكل منهم يفلح في العمل الذي يتعاطاهُ برغبة. واما الذي لا رغبة لهُ فلا يفلح في شيء وانما هو اسد الفراغ وتقاضي الراتب في آخر الشهر وكأنهُ آلة تعمل ما تدار لهُ ولا تعمل غيرهُ. والفرق بينهُ وبين الآلة ان الآلة لا تتعب من عملها واما هو فيتعب من كل شيء ويلتمس الراحة في كل لحظة ويكره المناظرة ويبعد عن المنافسة ولا يحيد قيد شبر عن الخطة التي خُطَّت لهُ او خطها لنفسهِ

ومما يمتاز بهِ اهل الرغبة ميلهم الى الاستنباط فتراهم ينتبهون لكل امر فتقوى فيهم قوة الملاحظة وقد يقوى شمهم وسمعهم وبصرهم. يحكى عن رجل من مستخرجي العطور في باريس ان حاسة شم الروائح الطيبة وتمييزها بعضها من بعض قويت فيهِ حتى لم يعد يشم الروائح الخبيثة. وعن صائغ من الصاغة الماهرين ان احدى عينيهِ تمرنت على رؤية الاشياء الدقيقة حتى استغنى بها عن استعمال الزجاجة المكبرة

ثم ان الرغبة في العمل قد تكون خاملة وتحتاج الى من يوقظها وهنا تظهر مزية مديري الاعمال فان المدير الماهر الذي يفهم عملهُ في يدهِ هو الذي يستطيع ان يوقظ الرغبة في عمالهِ ويبث الحمية فيهم ويجعل سعي العمل لذةً لهم. والغالب ان ذلك يحصل عفواً من غير تعمل اي اذا كان المدير راغباً في عملهِ شديد الاهتمام بهِ شاركهُ العمال في هذه الرغبة وهذا الاهتمام ولو عن غير قصد منهم

والناس شتى مختلفون في مطالبهم ومناحيهم وقواهم العقلية فلا يسلكون بقضيب واحد ولا يستخلون على طريقة واحدة. والمدير الندب هو من يعرف هوى كل واحد من الذين يتولى ادارتهم ويغريهِ بما يفيدهُ ويزيد سعيهُ وينبذ الكسول المهمل الذي لا يرجى منهُ نفع لئلا يعدي غيرهُ بكسلهِ كما يعدي السليم الاجرب

وزبدة القول ان الرغبة في العمل سرُّ النجاح فيهِ والمحور الذي تدور عليهِ الاعمال الكبيرة الناجحة ولا نجاح بدونها

غرائب العادات

في بولينيزيا

اذا غادر الانسان شبه جزيرة ملقا والجزائر المجاورة لها وضرب شرقاً وجد جزائر كثيرة منتشرة في الاوقيانوس الباسيفيكي مقسومة الى مجاميع مختلفة من اشهرها جزائر ساموى وتهيتي وهواي وزيلندا الجديدة

وقد اتصل الاوربيون بسكان هذه الجزائر منذ مئة سنة ونصّروهم فاهملوا شعائرهم الدينية وابطلوا الكثير من عاداتهم القديمة الاّ اذا اجتمعوا في حفلة واحتدم الهوس فان عواطفهم تتغلّب حينئذٍ على عقولهم فيعودون الى بعض العادات التي ابطلوها

ومن اشهر عاداتهم القديمة واكثرها شيوعاً الوشم الذي كانوا يغطون ابدانهم به ويحسبونهُ من الكماليات ومن لوازم الرؤساء فانهم كانوا يتفننون في اشكالهِ وكان لهُ عندهم صنّاع ماهرون في رسم رسومهِ . ولا يتم وشم بدن الانسان في اقل من بضعة اشهر ومتى اخذ الوشام يشم بدن انسان وقف البنات حولهُ ينشدون الاناشيد لكي يسهّلنَ عليهِ ويخففنَ آلامهُ

وكان اهالي جزائر مرشال يشمون ابدانهم جماعات في وقت واحد وتقدّم التقادم حينئذٍ للآلهة الوشم وهي من ارفع الآلهة مقاماً . ومتى وشم الرئيس من اهالي زيلندا الجديدة بدنهُ امتلأ قداسة وحُرّم عليهِ ان يمس شيئاً حتى طعامهُ اذا مسهُ نجّس منهُ فلا يأكل بيدهِ ولا يشرب بل يطعمهُ رجل من اتباعهِ ويسقيهِ بثمع مزخرف يضعهُ في فمهِ ويصب فيهِ الماء . وكان لوشم الرؤساء شان في ما جرى بينهم وبين الاوربيين حينما نزلوا بلادهم من الامور الرسمية فان الحجج التي كانت تكتب لابتياع الاراضي كان يوقعها الرئيس برسم شكل الوشم الذي على وجههِ كأنهُ العلامة المميزة لهُ فهو بمنزلة الختم والتوقيع (الفرما)

وكان سكان زيلندا الجديدة يعلقون باعناقهم تمثالاً صغيراً من اليشب Jade يمثل طفلاً قبيح المنظر يعتقدون انهُ صورة جدهم الاعلى ويتوارثونهُ خلفاً عن سلف كذخيرة مقدسة . ولم يزل عند بعضهم من هذه التماثيل وهم يقالون بها جدًّا . وعندهم افراط من حجر اليشب يشنفون بها آذانهم

ويبالغ سكان جزائر مرشال في لبس الاقراط ويثقبون شحمة الاذن ثقباً كبيراً يوسعونهُ رويداً رويداً حتى يمر رأس الانسان في ثقب اذنهِ . ويلبس اهالي ساموى عقوداً من اسنان الحيتان ويشترك اهالي هذه الجزائر كلها في حب الازهار والتجمل بها ولاسيما اهالي جزائر

هواي فانهم يضفرون اكاليل من الازهار كل يوم يكللون بها رؤوسهم . واذا اراد واحد منهم السفر وخرجوا لوداعه غمروه بالازهار . وكانوا يضفرون الاكاليل من ريش الطيور المزوقة وينظمون العقود من الصدف ويتحلون بها . واغرب حلية عند اهالي جزائر غلبرت اسنان احد الاسلاف تنظم عقداً . وكان اكثر لباسهم مقاطع مضفورة ضفراً من لحاء الاشجار او محبوكة كالحصر . ولا يزالون يلبسون ثيابهم مثل هذه اذا رقصوا اما الآن فثيابهم العادية من المنسوجات الاوربية . والظاهر ان لبس الثياب الاوربية اضرّ بهم لانهم كانوا قبلاً لا يلبسون شيئاً من وسطهم فما فوق وكانوا يطلون ابدانهم بزيت النارجيل تخفيفاً لوطأة الحر فلما ابطلوا ذلك نشت فيهم النزلة الوافدة وذات الرئة

اما اهالي زيلندا الجديدة فكانوا ينسجون الكتان ويصنعون ثيابهم منهُ حينما دخل الاوربيون جزيرتهم وكان لباسهم فوطة تغطي العورة ورداء مزدانًا بريش الطيور يلقى على الكتفين . وكان عندهم ستون نوعاً من الكتان وكانت صناعة الحياكة من الصنائع المقدسة يتعاطاها النساء وقلما يتعاطاها الرجال وتعليمها منوط بالكهنة وهم كما علموا فرعاً منها تلوا الصلوات والتراتيل والعزائم . وسواء حاكوا ثيابهم من الكتان او ضفروها ضفراً من الخوص ونحوه تفننوا في نقشها وترشيتها

والعادة عندهم انهُ اذا دنا وقت ولادة المرأة عادت الى بيت ابيها لتتنفس فيهِ ومدة النفاس قصيرة جدًّا فلا يمضي عليها بضع ساعات بعد ولادة طفلها حتى تنهض وتذهب بهِ الى البحر وتغتسل معهُ . واول شيء يطعمهُ الطفل عصار جوز الهند بعد مضغهِ ولا يطعم غيرهُ بضعة ايام حتى يصيرلين امعهِ صالحاً لهُ على رأيهم وذلك بان يمزجوا شيئاً من لبنها بالماء ويرموا فيهِ حصاة محماة فاذا تخثر ولو قليلاً قالوا انهُ لا يزال غير صالح . وكانوا في الزمن القديم يتدون النبات ولاسيما في تهيئتي حيث بلغ من حب بعض السكان للصوف ان صاروا يكرهون تربية اولادهم فيقتلونهم حال ولادتهم ذكوراً كانوا او اناثاً . اما اهالي ساموى فيهتمون بتربية الاطفالهم ويحتفلون بكل طور من اطوار نمو الطفل اي اذا ابتدأ يجلس واذا ابتدأ يدب واذا ابتدأ يقف واذا ابتدأ يمشي وهلم جرًّا

وكان اولاد الرؤساء في زيلندا الجديدة يتعلمون في مدرسة كبيرة يعلمهم فيها احد الكهنة السابهم واقانيص دياناتهم وتاريخ امتهم . وعمل الصبيان مساعدة والديهم في الصيد والزرع وعمل البنات مساعدة امهاتهن في جمع المحار من ساحل البحر واستقاء الماء من الآبار ونسج المنسوجات وضفرها . ويتعلم الصبيان الطبخ في ساموى

وكلهم مولعون بالرقص ولهم فيهِ تفنن عجيب فيحركون ابدانهم كلها او يكتفون بحركات ايديهم وهم جلوس . ويدعو اهالي البلد الواحد اهالي بلد آخر للاجتماع والتنافس في الرقص وحينئذٍ تسبي ابنة الرئيس لمة كبيرة من الشعر على رأسها مزدانة بصدف اللؤلؤ فوق جبهتها كما ترى في الشكل المقابل ويجلس وراء الراقصات جماعة من المغنيات يوقعن الحانهنَّ بالنقر على عقد القنا الهندي . ويدلو رقص الجالسات رقص الواقفات فيقلن بهِ الاعمال المختلفة كصيد السمك ورقص الزلاحف وما اشبه

وحركات الراقصات غاية في اللباقة وقد تمتد شهرة البارعات منهنَّ في الاقطار . ويمسك الراقصات الزيلندبات ازراراً من الكتان معلقة بخيوط قصيرة يضربن بها اذرعهنَّ وسوقهنَّ لتقسيم الوقت وتوقيع الرقص . وعندهم رقصة يشترك فيها اربع بنات يجلسن في شكل مربع ومعهنَّ عصي يتجاذفن بها من الواحدة الى الاخرى على اشكال منتظمة وهنَّ يغنين . ويرقص البنات في هواي لابسات مآزر الاوراق واكاليل الازهار كما كنَّ يلبسن قبلما اتصل اللباس الاوربي الى تلك البلاد . اما رقص الرجال فمن الرقص الحربي تبدو فيهِ القوة مع المهارة والرشاقة

وعندهم العاب كثيرة غير الرقص كاطارة الطيارات وادارة الدوامات وطرح الاحاجي ورمي الاكر والكجات والترجح بالارجيح . والغالب ان تجلس فتاة في الارجوحة ويبنما هي تترجح ذهاباً واياباً بسرعة فائقة يثب فتىً ويتعلق بالارجوحة ويصعد معها حتى اذا عادت الارجوحة بها الى قرب الارض تركها ووثب غيرهُ مكانهُ

ومن اشهر العابهم واشدها خطراً سباق القوارب ووثبها فوق الحواجز فانهم ينصبون خشبتين قائمتين في النهر ويعارضونهما بخشبة ثالثة تعلو قدماً فوق الماء ويصنعون القوارب لهذا السباق طويلة قريبة القاع فيركب الشبان القارب ويسرعون بهِ وهم يجذفون بكل جهدهم الى ان يصلوا الى الحاجز فيتكئ واحد منهم على موخرهِ فيرتفع مقدمهُ فوق الحاجز ويشتد الباقون في التجذيف فيثب القارب من فوق الحاجز وقد ينقلب بهم او يعجز عن الوثوب . ويشترك الفتيات مع الفتيان في هذا السباق فيباريهم فيهِ . ولهم العاب اخرى بحرية يطول شرحها وتدلُّ كلها على انهم كانوا اهل ظرف وطرب يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب واغتنام فرص الزمان لا همَّ بدنيا يشغلهم ولا خوف من آخرة يقلقهم

ومن عاداتهم القديمة في الخطبة والزواج ولاسيما اذا كان الخطيبان من اولاد الرؤساء ان يذهب الخاطبون من قبل اهل الخطيب الى بيت الفتاة التي يريدون خطبتها ليتفقدوها فاذا

امرأة من الواري اهالي زيلندا الجديدة

التوبو او المضيفة

التقبيل بفرك الانف

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٣٤١

راقت في اعينهم عادوا واتى وفد آخر ومعهُ الهدايا فاذا قبلها ابو الفتاة ولم تبدِ الفتاة اقل ممانعة حسب ان الغاية قد تمت واستعد الفريقان لولائم العرس واذا رفض الوالد اخذ الهدايا ولكن الفتاة لم تظهر الاباء جاء وفد ثالث اعلى شأناً من الوفد الاول والثاني واتى معهُ الخطيب نفسهُ. فاذا اصرَّ ابو الفتاة على الرفض جاء ابو الخطيب باعوانهِ واتباعهِ وحينئذٍ يضطر ابو الفتاة ان يرضى بتزويج ابنتهِ . وبعد اقارب الخطيب الهدايا الكثيرة لاقارب الخطيبة ويهيئُ اهل الخطيبة لها جهازاً فاخراً من الثياب ونحوها ويتبادل الفريقان الهدايا وتولم الولائم ويعود الخطيب الى اهلهِ وعروسهُ معهُ و يبنى لهُ بيت في مكان مرتفع مواجهٍ لبيت ابيهِ

والزواج في كل هذه الجزائر هذي محض لا اثر للشعائر الدينية فيهِ يقوم بالهدايا والولائم وبعض الرسوم . ففي جزائر كارولين يختار الفتى عروسهُ ويأتي بها الى بيت ابيهِ فتفرك امهُ ظهرها بزيت النارجيل وتضع اكليلاً على رأسها فيكون ذلك بمثابة عقد شرعي . واهالي جزائر غلبرت شديدو الغيرة على نسائهم حتى اذا كلَّم رجل امرأة فقد لا يسلم من يد زوجها ولذلك ترى كثيرين منهم وفي ابدانهم ندوب الجراح من خصام سببهُ الغيرة . واذا صعد رجل منهم الى رأس نخلة اضطر ان ينبي وهو فيها باعلى صوتهِ ويقال ان سبب ذلك ان رئيساً من رؤسائهم رأى رجلاً في رأس نخلة فظن انهُ صعد اليها ليشرف على نسائهِ وكن يغتسلنَ فرماهُ وقتلهُ ومن ثم جرت العادة ان كل من يصعد الى رأس شجرة ينبي باعلى صوتهِ حتى يسمعهُ نساء الرؤساء ويحتجبنَ . والرجل الذي يتزوج هناك بامرأة يحق لهُ ان يتزوج بكل اخواتها اللواتي هنَّ اصغر منها اذا شاء وعلى كل حال لا يجوز لاحد ان يتزوج باحدة منهنَّ الاَّ برضى من تزوج باختها الكبرى

والتقبيل غير معروف عندهم فاذا التقى اثنان اخوان او اخوان او صديقان فرك احدهما انفهُ بانف الآخر وذلك بمثابة التقبيل عندنا

وكانوا يدفنون موتاهم دفناً قبل مجيء الاوربيين ويجمعون عظام الرؤساء من اسلافهم ويضعونها في سلال متقنة الصنعة . والغالب ان تكون قبورهم منتظمة في قرافاتهم وعلى كل قبر منها اكمة كبيرة او صغيرة حسب درجة الميت . وقد يضعون على القبر بعض امتعة الميت الثمينة فلا يمسها احد . ويعتقدون ان نفس الميت تبقى في الارض قريبة من بيتهِ ويخافون منها خوفاً شديداً ويقتني بعضهم الكلاب حتى تطرد نفوس الموتى بنباحها ليلاً ولكن اهالي بورين لا ينظرون الى نفوس موتاهم بعين الخوف بل يبنون اكواخاً فوق القبور ينامون فيها لكي تزورهم ليلاً في احلامهم

وموت الرؤساء شأن كبير عندهم حتى لقد تتعطل مصالح الناس بموت رئيسهم . واذا اجتمع اقارب الرئيس واعوانهُ بعد موته وخيف ان يتقاصموا على الخلافة جاءت اختهُ وجلست بينهم ومنعت الخصام لانهم يعتقدون أن لعنة الاخت اشد ضررة يمكن ان تقع على رأس احد . ويحلقون على رؤوسائهم حداداً عاماً وكانوا قبلاً يضربون رؤوسهم بالحجارة ويخدشون وجوههم بانياب كلاب البحر او يقطع الواحد منهم اصبعاً من اصابع يديهِ حداداً على قريب لهُ

واذا قُتل واحد من اهالي ساموى اجتمع اقاربهُ حول البقعة التي قتل فيها وبسطوا ملاءة بيضاء على الارض واول ذبابة او حشرة تقع فيها يقبضون عليها لاعتقادهم ان نفس القتيل فيها ثم يدفنونها معهُ في قبره

وقد بطل الآن اعتقادهم بالهة البر والبحر والجو والحرب وبما كان اكثر شيوعاً عندهم من كل شيء آخر وهو الحرم او التحريم فاذا حرموا شيئاً او قالوا انهُ محرَّم ابتعد عنهُ كل احد واعتقد انهُ صار محرَّماً . ولهم في التحريم اساليب شتى يظل اكثرها الآن على انها كانت نافعة جدًّا لانها من قبيل اثبات الحق الشرعي ومنع الاعتداء

ومن العادات القديمة التي لم تستأصل حتى الآن بل لا تزال شائعة عندهم الاعتقاد بالسحر فيسحرون الانسان بخرقة من ثيابهِ او خصلة من شعرهِ او فضلة من طعامهِ . ومنها العرافة لاكتشاف الخفايا والسرقات وهي كالعرافة الشائعة عندنا في المتدل وضرب الرمل

ومن المناصب المهمة في جزائر ساموى وظيفة التوبو اي منيفة القرية . ويعطى هذا المنصب لابنة الرئيس الكبرى ما دامت عزباء ولها مقام رفيع بينهم حتى كأنها الآمرة الناهية بين قومها . فتربّى على القيام بكل الواجبات الاهلية كاقامة الولائم وتدبير حفلات الرقص واستقبال الزوار وشرب القهوة . وتلبس على رأسها لمَّة من شعر الرجال وهي العلامة المميزة لها وتراقب سيرتها اشد المراقبة لانها يجب ان تكون حصينة رزينة لا لوم في سيرها وسيرتها

وقهوتهم شراب يستخرجونهُ من نبات كالزنجبيل وكانوا يصنعونها بمضغ جذر هذا النبات ومزجهِ بالفلفل اما الآن فصاروا يسحقونهُ سحقاً بالحجارة ويستخرجون عصارتهُ . ولشرب هذه العصارة رسوم كثيرة عندهم يضيق المقام عن وصفها

وكانت اسلحتهم الرمح والمقلاع والنبوت . اما القسي والسهام فكانوا يستعملونها لصيد الجرذان لا للحرب . وكانت سنان رماحهم من اسنان كلب البحر . ونسجوا الدروع من الياف النارجيل وغطوها بجلد القنفذ وصنعوا الخوذ من جلود السمك الكروي الشائك ومن تدرَّع منهم كذلك لم تفعل بهِ اسلحتهم

مسير ومصير

كل فرد لغاية هو غادي لا يرى غيرها طريق سداد
غير أنّ الغايات مختلفات فهي بين الاصلاح والافساد
والذي ينظر الخلائق في الدنيا بعيني بصيرة وانتقاد
لا يرى غير طامع يجمع المال ويفنى وراغب في ازدياد
فكأنّ الانسان ما جاء الاّ لمعاشٍ ما بين ماء وزاد

***

قل لمن يجهل الحياة تفكّر في مصير الآباء والاجداد
كيف كانوا واين صاروا واين الرسل اين القرون من قبل عاد
اين اين الملوك اين الرعايا اين اين القوّاد للاجناد
اين اين البناة اين المباني اين من شيّدوا كذات العماد
اين اسكندر واين هرقل اين نمرود اين ذو الاوتاد
اين قارون اين فرعون موسى اين كسرى وقيصر ذو الآد
اين من كتّبوا الكتائب للحر ب وصالوا بالمرهفات الحداد
هذه دورهم تجيبك عنهم لو يجيب الجماد صوت المنادي
صرعتهم كأس المنون ولمّا يستفيقوا حتى ليوم التنادي
وغدوا يحملون من بعد عرش الى محلك في موكبٍ على الاعواد
وغدا مالهم وما جمّعوهُ للاعادٍ إرثاً وللعدا
وثووا في القبور من بعد ما كا نوا بعالي القصور كالاطواد
ورضوا بالتراب بعد فراش من حرير موثّر ووساد
جمعتهم دار المنون جميعاً وهم من قبائلٍ وبلاد
فغدا الضد يألف الضد طوعاً وغريب تآلف الاضداد
ايها الغافل انتبه من رقادٍ ان ذا العصر ليس عصر الرقاد

***

سعد إنّ الانسان اصلحهُ الله ظلوم من ساعة الميلاد
ذو نفاقٍ وذو خداعٍ وذو مكرٍ وذو شرّةٍ وذو استبداد

ايها المرء ما خلقت لهذا الشر بل لم تجئ لتلك المبادي
ايها المرء انت اشرف مخلوق على الارض ذو محيّ وفاد
انما الفضل لو علمت هو العلم وبذل الندى وبيض الايادي
والوفا والمعروف والعطف والنصح وصنع الجميل بالاسعاد
ثم الانف عزّة النفس حسن الذكر حفظ العهود صدق الوداد
سمة الخلق عفة الجيب نفع الناس من كل حاضرٍ او باد

***

ليت شعري متى تلين قلوب من اناسٍ قست كصم الصلاد
فيؤاسي الغني منهم اخا الفقر ويضحى الشحيح سمح الايادي
ويعيش الشقي بارغد عيشٍ لا يرى عيش خستٍ ونكاد
وتمر الايام طرًّا على النا س يعدونها من الاعياد
ويصير الغني منهم نبيهاً عارفاً بالاصدار والايراد
ويعود الداعي الى كل شرٍّ حين يدعو كنافخٍ في رماد

***

ايها الحاكمون ظلماً على النا س رويداً فالله بالمرصاد
لا تغضوا طرفاً لدى الحكم عن فردٍ ولا تنظروا الى الافراد
اوردوهم حوض المساواة فالقو م جميعاً حرّي القلوب صوادي
عاملوهم بالرفق والعدل اذ هم عالم غير عدلكم من فادٍ

***

لست ادري وليتني كنت ادري اي يوم تزول فيه العوادي
اي يوم يموت فيه غواة قد تمادوا في الغيّ اي تمادِ
كم اضلوا عن الهدى واستبدوا بالديانات ايما استبداد
كلما نام مصلح ثم يدعو هم اليه رموه بالالحاد
فمتى يا تُرى يسدد شملٌ ذو اجتماعٍ من دولة الاوغاد
ومتى تسترد بغداد مجداً سالفاً دمعةً على بغداد
يوم كانت في عصر هرون تزهو مثل زهو الربيع بالاوراد
والذي ربّهُ تجيُّ القوافي طائعات لامره باقتياد

وتمر المياه منها فتسقي جنةً بعد جنةٍ في الوهاد
وتشد الرحال من كل فجٍ لجنى ربعها ومن كل واد
كل ركب قد سار يقفوهُ ركبٌ أنها من شواسع الابعاد
فتراهم على اختلاف من الاجنـاس فيها من عاكفٍ او باد
فهي ملتقى الامال نجح الاماني منجع الناس منهل الوراد

***

« يا سواد العراق بيضك الجد ب » نصرت البياض وسط السواد
يا سواد العراق فيك كنوز يعلم الله ما لها من نفاد
يا سواد العراق احملك القو م وقد كنت روضة المرتاد
يا سواد العراق تبكيك عين الشعر ذا اليوم من سواد المداد
يا سواد العراق شُلّت يمين ذاك اثم دلت عليك الاعادي

***

ليتني كنت في الزمان اماماً شيمتي شيمة الكريم الجواد
وهماماً تخشى لقاهُ اسود الحـرب في يوم معركٍ وجلاد
فاذيق الطغاة طعم المنايا واكيد العتاد اهل العناد
وأضحّي أئمة الكفر والجور بقايا قوتي ثمود وعاد
وابيد الخولـ والجهل والظلم وجيش النفاق من بغداد
ثم أمسي في كل قطرٍ ومصرٍ قاعداً للطغاة بالمرصـاد
وارى القتل والشهادة في دعواي غاية المنى وكل المراد

***

وبودّي اني اكون خطيباً مثل سحبان وائل والايادي
لانادي بآية العلم جهراً والوفا والمعروف في كل ناد
ثم ادعو الى الهدى والى الاصـلاح والسلم والضنا والرشاد
والى الخير هادياً ودليلاً ونصوحاً حتى لقومٍ اعادي

***

ان خير القريض ما كان منهُ يطرب السامعين بالانشاد
والذي نظمهُ يقصّ على القا رئ وعظاً يذيب قلب الجماد

لهو طوراً ما بين امرٍ ونهيٍ وهو طوراً ما بين حادٍ وهادِ
وهو حيناً بين المآتم ناحٍ وأوانًا بين العرائس شادِ
خالي الذكر من احاديث لبنى وسليمى وزينب وسعادِ
سلس اللفظ والعبارة جزل معجز باهر كشعر زيادِ (١)
ان هذا يا سعد غاية سؤلي ان هذا يا سعد جل اعتقادي
هو مقصودي الذي طول عمري اتمناهُ من صميم فؤادي
ان اكن مخطئاً فمن سوء جدي او مصيباً فمن صحيح اجتهادي

بغداد كاظم الدجيلي

السلاحف وتربيتها

السلاحف حيوانات معروفة تمتاز على سائر انواع الحيوان بالترس العظمي الذي على ظهرها وتحت بطنها . وهي انواع بعضها بري وبعضها بحري او نهري وبعضها بري وبحري او نهري معاً . ومن اسمائها الجأة والترسة . وتخص السلحفاة بالبرية والجأة بالبحرية والترسة بالنهرية . وقد وصفها بعضهم بقوله

حبا الله ذات فم اخرس تطيل من السعي وسواسها
تكبُّ على ظهرها ترسها وتظهر من جلدها رأسها
اذا الحذر افلق احشاءها وضيق بالخوف انفاسها
تضمُّ الى نحرها كفها وتدخل في جلدها رأسها

وليس مرادنا ذكر انواع السلاحف واوصافها وطبائعها بل ذكر ما هو اهمُّ من ذلك وهو تربيتها للاغتذاء بلحمها فقد شاع الآن اكل بيض السلاحف ولحمها والتنافس بطبخ اليخنة والشوربا منهُ حتى صارت تربى لهذه الغاية

اتى بسلحفاة بحرية كبيرة جداً منذ نحو اربعين سنة الى معرض المدرسة الكلية في بيروت لكي يحفظ فيه جلدها وعظمها وترسها . وقُطع لحمها فتخاطفهُ الاميركيون الذين كانوا في بيروت حينئذٍ لطبخ الشوربا واكلنا منهُ شواء فلم نستكرههُ ثم اكلنا من شوربا في اوربا

(١) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني

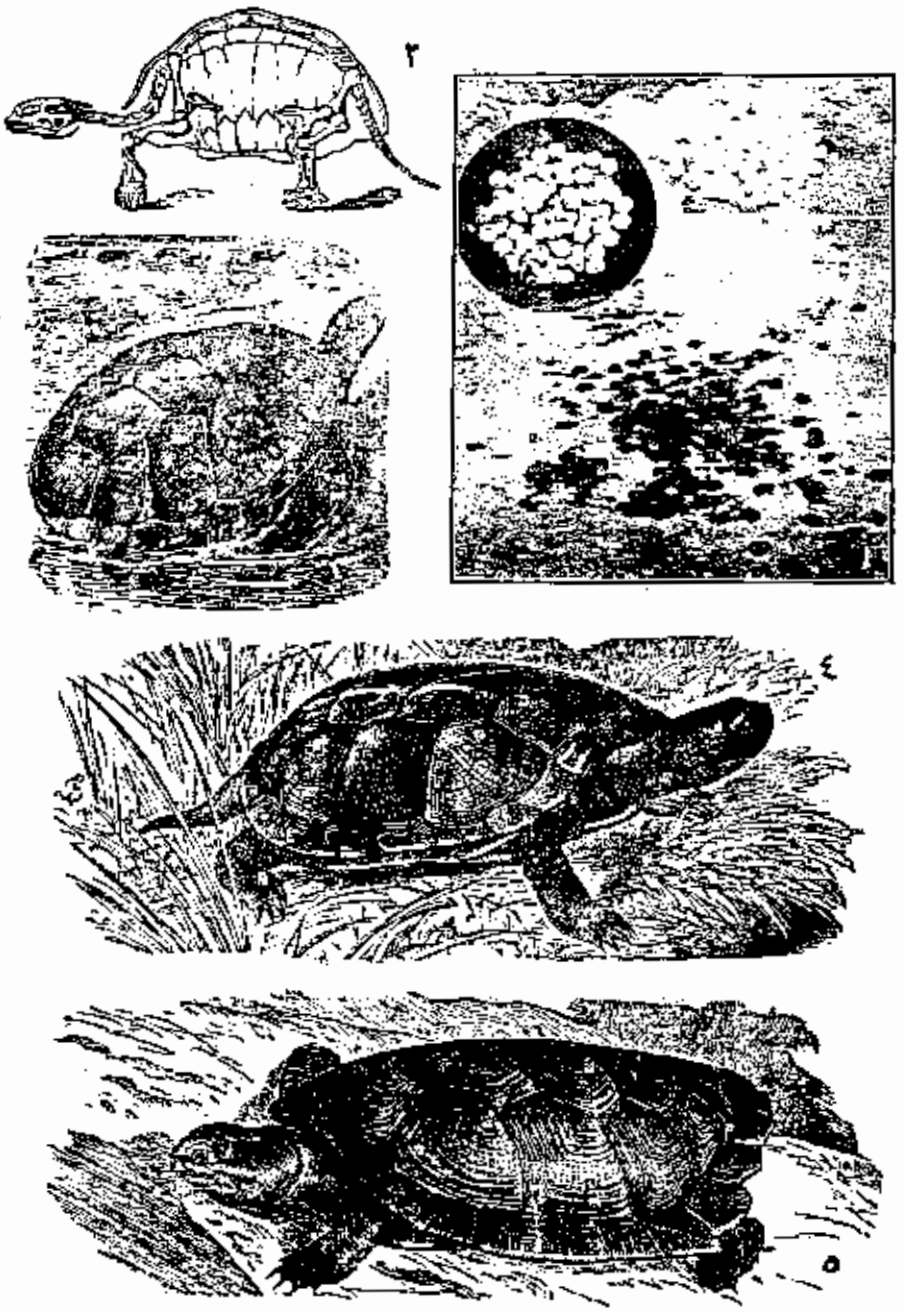

(١) بيض السلحفاة وصغارها (٢) عظامها (٣) السلحفاة الخضراء (٤) السلحفاة الاوربية (٥) سلحفاة الامازون

المتطفف مجلد ٤٣ صفحة ٣٤٦

فاستطبناها اما الاوربيون فيغالون بها جداً حتى تباع الصحفة منها بنصف جنيه

واذا ربيت السلاحف في هذا القطر والقطر الشامي فلا يبعد ان تروج سوقها في اوربا لان ما يصاد منها الآن من البحر يباع في اوربا كلهُ . وقد رأينا سلاحف صيدت قرب بيروت لا يقل وزن السلحفاة منها عن عشرين قنطاراً مصرياً او نحو اربعة قناطير شامية

ويقول الذين يأكلون لحم السلاحف ان ليس كلهُ على درجة واحدة من حيث طيب الطعم فبعضهُ طيب وبعضهُ خبيث . ولكنهم غير متفقين في ذلك فاهالي اميركا الشمالية يفضلون السلحفاة الصغيرة التي يرى في ظهرها تقطيع كتقطيع حجارة الماس . واليابانيون يفضلون السلاحف العضاضة . والانكليز يفضلون السلاحف الخضراء التي يؤتى بها اليهم من جزائر الهند الغربية . وسكان ضفاف نهر الامازون يأكلون السلاحف الكبيرة التي تكون في ذلك النهر وهم يربونها لهذه الغاية

وكانت السلاحف البرية الصغيرة من المهملات في اوربا التي لا ثمن لها اما الآن فصارت تباع وتشترى بثمن فاحش ولا سيما ذات الظهر المقطع لكثرة طلب الفنادق والمطاعم لها . فكثر اعتناء الناس بتربيتها في برك تقام لها على ساحل البحر حيث تبيض وتولد وتنقل من بركة الى اخرى حسب سنها لئلاَّ يأكل كبارها صغارها . وتتفاوت البرك سعةً فالصغيرة منها للسلاحف الصغيرة حال خروجها من البيض والكبيرة للسلاحف الكبيرة . ويتفنن بعضهم في الاعشاب البحرية التي يزرعونها في هذه البرك او التي يطرحونها فيها طعاماً للسلاحف لان طعم لحمها يختلف باختلاف طعامها

وتبيض السلحفاة البحرية في بلاد الشام على شاطىء البحر فتحفر حفرة في الرمل وتلقي بيضها فيها وتطمرهُ وتتركهُ هناك فيتفقف من نفسهِ بحرارة الشمس . والبيض مستدير كالبرتقال الصغير او كاليوسف افندي وقشرتهُ جلدية مثلهُ وقد رأينا بعض التجارة يفتشون عنهُ في ساحل صيداء ويجمعونهُ من الحفر وقالوا انهم يقلونهُ ويأكلونهُ . واذا خرجت السلاحف الصغيرة من بيضها ودبت الى البحر فلا يسلم منها الاَّ القليل لان الطيور والسراطين تأكلها والسلاحف الكبيرة تأكل الصغيرة فلا بدَّ من وقايتها من اعدائها وهي بيض ثم بعد ما تخرج من البيض الى ان تبلغ اشدها اذا اريد تربيتها

وقد اهتمَّ اليابانيون بتربية السلاحف شأنهم بكل ما منهُ ربح . ولرجل منهم اسمهُ هتوري حقول واسعة خارج مدينة طوكيو يربي فيها السلحفاة العضاضة وهي كبيرة عندهُ اكبر من السلاحف العضاضة العادية و يبيع منها لفنادق اليابان ستة عشر الف سلحفاة كل

سنة ويرسل الى بلاد الصين خمسة آلاف سلحفاة وهو يربيها في برك متوالية سعة البركة الكبيرة منها نحو نصف فدان فيضع السلاحف الكبيرة في بركة ويراقبها مرتين كل يوم ويرى ما باضتهُ على ضفة البركة ويضع فوق حفرة البيض شبكة من الاسلاك المعدنية حتى يمنع سلحفاة اخرى من حفر الحفرة ثانية . وبعد نحو ستين يوماً او اقل حسب شدة الحر يفرخ البيض وتخرج الصغار منهُ . وتبيض السلحفاة نحو ستين بيضة او اكثر كل مرة ولا تبلغ اولادها اشدها في اقل من خمس سنوات

وتطعم السلاحف الصغيرة حين خروجها من البيض قطع اللحم والسمك ومتى كبرت قليلاً اطعمت لحم الانكليس ومتى جاء الشتاء واشتد البرد صامت عن الاكل وحفرت لها حفراً في الطين اختبأت فيها

ومتى بلغت السلحفاة اليابانية العضاضة اشدها اي متى صار عمرها خمس سنوات بلغ وزنها عشرين اقة الى ثلاثين

والتي تؤكل في بلاد الانكليز هي السلاحف الخضراء ويؤتى بها من جزائر الهند الغربية كما تقدم ولها تجارة واسعة فان الذي يأتي بها يجلب نحو اربعة آلاف سلحفاة كل سنة من جزيرة جامايكا ورجالهُ يصطادونها صيداً من البحر بالشباك ويضعونها داخل حواجز يقيمونها لها على شاطىء البحر الى ان يحين نقلها الى بلاد الانكليز ولكن لا يصل منها حياً الاَّ اربعون او خمسون في المئة كأنها مخلوقة لتقيم في مكانها ولا تنتقل منهُ الاَّ ببطء فاذا نقلت بسرعة كما في السفن البخارية قضت السرعة عليها مع انها من اصبر الحيوانات واسكها بالحياة حتى لقد يقطع رأسها وتبقى حيَّة ساعات كثيرة او تنزع احشاؤها واكثر بدنها ويبقى رأسها حياً

ويؤكل لحم السلاحف يخنة وشوربا كما تقدم وشورباها معدودة افخر المآكل . ولقد صار الاوربيون والاميركيون يسلقون لحم السلاحف حيث يربونها ويستخرجون مرقهُ ويضعونهُ في آنية من الصفيح ويرسلونهُ الى الفنادق والمطاعم لعمل الشوربا فيستغنى به عن ارسال السلاحف نفسها

وهنود اميركا الجنوبية الساكنون على ضفاف نهر الامازون يربون السلاحف حول بيوتهم للذبح والاكل كما تربي الغنم والبقر ويجمعون بيضها ويستخرجون منهُ زيتاً للاضاءة . ومنذ عشر سنوات كانوا يستخرجون الزيت من نحو مئتي مليون بيضة كل سنة

المطالعة المفيدة

لا بدَّ من ان يظهر للمطَّلع على هذا العنوان ان تقييدنا المطالعة بالمفيدة يدلُّ على ان منها ما لا يفيد . وهذا هو الواقع بل قد يكون من المطالعة ضرر كما ان المطالعة المفيدة لاحدٌ لفائدتها حتى لقد تغني عن الدرس في المدارس في بعض الاحيان

كتب السرجون هرشل الفلكي المشهور يقول « اني اذا طلبت من الله ان يوجد فيَّ خلقاً يبقى معي مهما تغيرت احوال الزمان والمكان ويكون ينبوع سرور لي وسلوى مدى العمر وترساً اتقي به نوائب الدهر فذلك الميل هو حب المطالعة »

وقال ادورد غبن اشهر مؤرخي الانكليز «اني افضل رغبتي في المطالعة على كل كنوز الهند»

قد تكون المطالعة لمجرَّد التسلية فيجد فيها الانسان لذةً وفي التسلية شيء من الفائدة وقد يفرط فيها حينئذٍ حتى يبلد عقلهُ ويصير قليل الحفظ لما يقرأهُ كمن يتخم من الاكل الكثير فلا تعود معدتهُ تهضم ما يلزم لغذاء جسمهِ . او تصير القراءة مجلبة للنوم كأنها نوع من المخدرات . وكل ذلك مطالعة قليلة الفائدة او لا فائدة منها بل منها ضرر وهي ليست المطالعة المفيدة المقصودة بهذه السطور وانما المطالعة المقصودة هي التي يتوخاها المرء بقصد الفائدة العلمية والادبية

اساس هذه المطالعة الكتب المفيدة . وكتبنا المفيدة غير قليلة ولكن بعضها مشوب بالسخافات والاضاليل . تأخذ كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري وهو من اجل كتبنا العلمية القديمة فلا تكاد تقرأ سطرين يوثق بهما حتى تقرأ سطراً او سطرين من السخافات . وتأخذ الكشكول فتجد فيهِ دراً ثمينة وبينها خرز وحجارة واقذار تنبو العين عنها . وعندنا من الكتب القديمة ما يعدُّ من النفائس في كل لغة كمقدمة ابن خلدون وكتاب كليله ودمنه وتهذيب الاخلاق وخزانة الادب وغرر الوظواط ومحاضرات الاصفهاني والعقد الفريد وثمرات الاوراق وريحانة الالباب وكتاب الاقتضاب واسرار البلاغة وصبح الاعشى وحلبة الكميت والمثل السائر . وكتبنا الحديثة كثير منها غاية في الاجادة والفائدة موضوعة كانت لحضارة الاسلام وهي مترجمة كمر النجاح ولذلك لا يتعذَّر على طالب الفائدة ان يجد ضالتهُ منها

ولقد كانت الكتب المفيدة ولا تزال غذاء النفوس كما قال المصريون الاقدمون وكما قال كثيرون من اساطين العلم والفلسفة

قيل ارسل بعض الخلفاء يطلب احد العلماء ليسامره فلما جاءه الخادم وجده جالساً وحواليه الكتب وهو يطالع فيها فقال له ان امير المؤمنين يستدعيك فقال قل له عندي قوم من الحكماء احادثهم فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة واخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا امير المؤمنين ما كان عنده احد . قال فاحضره الساعة كيف كان فلما حضر قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فقال

لنا جلساء ما نمل حديثهم ألبّاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا
فان قلت اموات فلم تعدُ امرهم وان قلت احياء فلست مفنّدا

وقد تكون هذه القصة موضوعة لكن مغزاها صحيح وهي تدل على اعتبار الاولين لكتب العلم والادب

وقال كارليل الكاتب الانكليزي الشهير « اهم ما يصنعه الانسان في هذه الدنيا وابقاه واثمنه الكتب » وقال مكولي الكاتب السياسي الشهير « افضل ان اكون فقيراً في كوخ وعندي كثير من الكتب على ان اكون ملكاً لا يحب المطالعة » . والرجلان من ابناء الانكليز الذين نلوا انشاء عقل الانسان كتاباً الاّ وهو في لغتهم او تُرجم اليها فقد ترجموا كتب فلاسفة اليونان والرومان وادبائهم وشعرائهم وكتب العرب والفرس والهنود والالمان والطليان والفرنسويين والهولنديين وكل الامم الاوربية القديمة والحديثة . وطبعوا كل كتاب منها مراراً على انواع مختلفة من القطع والورق حتى يتيسّر اقتناؤه لكل احد وكثرت مجلاتهم وجرائدهم وتنوعت حتى صارت بضاعة مزجاة بخسة الثمن ومع ذلك لا يزالون ينالون بها حتى نضلها مكولي على تاج الملك

قال الفيلسوف لكي Locky في كتابه خريطة الحياة « ان امثال المرء التي تقتضي قوة طبيعية تضعف بتقدمه في السن ولكن ميله الى المطالعة يقوى واذا احكم مطالعته بالعقل صارت افعل الوسائل لتقوية الاخلاق الفاضلة فيه وترقية افكاره وهي فكاهة لذاتها وتزيد بها فكاهة الحياة فان من اتسعت معارفه وعرف اقدار الامور وجد لذة فائقة في الحل والترحال وفي كل ما يراه من امور الكون . وخير ثمار التعليم تربية الميل الى المطالعة في سن الصبوة ويزيد نفع المطالعة متى صار الغرض منها زيادة المعرفة ولا سيما اذا رافقها حب البحث في موضوع خاص وتوجيه النظر اليه وقويت معها قوة الملاحظة »

المطالعة لا تغني دائماً عن التعليم ولا تقوم مقام المدارس فان القيام في المدرسة والاشتراك في المذاكرات والمناظرات وحضور الدروس والامتحان فيها وسماع اقوال الاساتذة وتفاسيرهم وتأثير التلامذة بعضهم في بعضهم ونحو ذلك من الفواعل التي تكون في المدارس الراقية كل ذلك يفعل في التلميذ ما تعجز مطالعة الكتب عن فعلهِ . مَن لم يدخل مدرسة راقية ولا اثَّرت فيهِ هذه الفواعل الكثيرة فقد حُرِم من اهم دعائم العلم وما احسن ما قيل

ولست تنال العلم الاَّ بستة سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبُلغة وارشاد استاذ وطول زمان

فعلى المرء ان يكتسب ما يستطيع اكتسابهُ من المدرسة و يضيف اليهِ ما يستطيع اكتسابهُ بالمطالعة . ومعما بلغ سن الانسان لا تقصر المدرسة عن فائدتهِ سواء كانت من المدارس العالية او الكلية او الجامعة . ولكن اذا مضى زمن الدرس في المدارس او تعذَّر على المرء الوصول اليها فلا يأسَ لانهُ يجد في المطالعة ما يكفيهِ . فان المطالعة الدقيقة في الكتب النفيسة عليَّة كانت او ادبية تعلِّم المرء تعليماً يكفيهِ وان لم يكن مثل تعليم المدارس — تعليمٌ ما يفيدهُ ويلذُّ لهُ . تنيلهُ ما لا ينال بمال الدنيا وتجعلهُ من الذين يُسَرُّ الناس بمعاشرتهم و يستفيدون من الحديث معهم بدلاً من ان يستثقلوهُ وينفروا منهُ . وكم من رجل علَّم نفسهُ على هذه الصورة فبرع في علم من العلوم او فن من الفنون وفاق فيهِ تلامذة المدارس واساتذتها ولو لم ينل دبلوما الدراسة الثانوية ولا الابتدائية . ومن منحت لهُ فرص المطالعة واهملها كمن يجد كنزاً و يدوس عليهِ او يغمض عينيهِ عن رؤيتهِ

هذا اذا لم يتخرَّج المرء في مدرسة واما اذا تخرج فيكون الاساس قد وضع في عقلهِ لكي تزداد معارفهُ بالمطالعة لان المدارس مهما أُتقنت لا تزيد على كونها تفتح باب المعرفة وتساعد التلميذ على الولوج فيهِ وتجعل الكتب مألوفة لديهِ ومواضيعها قريبة منهُ وهو انما يمرن عقلهُ ويرسخ المعارف في ذهنهِ بالمطالعة . وما يناله غير المتعلم في سنة قد يناله المتعلم في شهر فالتعب قليل والكسب كثير

أتمان يكرهان المطالعة مَن عقلهُ سخيف فلا يجد فيها لذة ومن عقلهُ كثير الاشتغال بامور تصرفهُ من المطالعة . اما الاول فلا فائدة من حثهِ على المطالعة واما الثاني فيميل اليها متى وجد الكتب التي يستفيد منها وتلذُّ لهُ . الذكي الفؤاد الذي يكره المطالعة يكون مشغولاً بمطالب اخرى . اعطهِ كتاباً يبحث في المطالب التي يشتغل بها مهما كانت ولو كانت لعب الورق او صيد السمك فانهُ ينقطع لمطالعتهِ ويتصل منهُ الى غيرهِ . وان لم يفلح فيهِ فاعطهِ

رواية محكمة السبك كبعض روايات دوماس او وزرائيلي او كنن دويل او كالروايات التي وضعناها ونشرناها في المقتطف مثل فتاة مصر وامير لبنان او التي ترجمناها مثل قلب الاسد وكليوباطرة وامينة فانهُ يعكف على مطالعتها . اخبرنا غير واحد انهُ قرأ رواية قلب الاسد كلها في جلسة واحدة لشدة تعلقهِ بها وكتب الينا غير واحد ونحن ننشر رواية فتاة مصر يسألنا عن تتمة الحديث وهل بعض وقائعها حقيقي او موضوع

ويندر ان تتوفر اوقات المطالعة لذوي الاشغال ولكن لا يتعذر ان تعطى الزمن الكافي من فضلات الوقت . فاذا كانت عادة الانسان ان يستيقظ الساعة السادسة صباحاً لم يضرهُ اذا استيقظ ربع ساعة قبلها وشغلها بالمطالعة . واذا انتظر طعامهُ عشر دقائق فليشغلها بالمطالعة . ولا يتعذر على الراغب ان يجد ساعة كاملة للمطالعة كل يوم مهما كانت اشغالهُ كثيرة . واما ايام العطلة فيحسن ان يقضي بعضها في المطالعة والبعض الآخر في النزهة . ولا يحسن بالمرء ان يسافر او يتنقل من مكان الى آخر الاَّ وفي جيبهِ كتاب مفيد يطالع فيهِ كلما سنحت لهُ فرصة ولم تشغلهُ محادثة الناس او مشاهدة المناظر عن المطالعة لانهُ اذا خُيِّر بين ان يجالس قوماً في حديثهم فكاهة او فائدة وبين ان يطالع كتاباً فالحديث مفضَّل لان الانسان اقدر على التعلُّم باذنيهِ منهُ بعينيهِ

وليحذر المطالع من اجهاد نفسهِ في المطالعة واستطرادها الى حد التعب او ما بعدهُ فانها اذا بلغت هذا الحد لم يبقَ منها نفع بل صارت ضرراً . لجئنا الضرورة احياناً الى الاستمرار على المطالعة الى هذا الحد فنشعر بتعب شديد ولا يبقى في ذهننا شيء مما نطالعهُ ونحن متعبون

فالشرط الاول اذاً للمطالعة ان تعطيها الزمن الكافي ولو من فضلات وقتك ولكن قف عند حد التعب ولا تجاوزهُ

والشرط الثاني ان لا تطالع الاَّ النفيس من الكتب والمجلات والجرائد لان مطالعة ما دونهُ اضاعة للوقت وتضليل للذهن . والحياة قصيرة لا يحسن ان تضاع في ما لا فائدة منهُ او في ما فائدتهُ قليلة

ولا بدَّ من ان يسأل سائل ما هي الكتب والمجلات التي تشيرون علينا بمطالعتها . وهنا نحصر عن الجواب . لو كانت المطالعة باللغة الانكليزية او الفرنسوية او الالمانية لسهل علينا ذكر مئات من الكتب والمجلات الحديثة والقديمة اما كتبنا العربية فما تفيد مطالعتهُ وليس فيهِ اوهام تعلق بالذهن وسماجات تفسد الاخلاق فقلما يسهل الوصول اليهِ على جمهور القراء وليس في البلاد مكاتب عمومية ودور للمطالعة تجمع الكتب النفيسة وتسهل على

الناس مطالعتها ولا كتبنا النفيسة مطبوعة بحجم صغير حتى يسهل وضعها في الجيب او الوصول اليها في كل مكان . ولكن الطالب الراغب لا يتعذر عليهِ ان يجد الكتاب الذي تفيدهُ مطالعتهُ او المجلة التي يجد فيها ضالتهُ ومتى وجد ما يريد مطالعتهُ وجب عليهِ ان يطالعهُ على الاسلوب الذي يفيدهُ اكبر فائدة

اذا اختار الانسان كتاباً مفيداً وجعل يطالعهُ فلا يستفيد منهُ الفائدة المطلوبة ما لم يعِ فوائدهُ في ذهنهِ او يكتبها في دفتر حتى يرجع اليها عند الحاجة . وشأنهُ في ذلك شأن من يرى الطعام الشهي ولا يكتفي برؤيتهِ لونهِ وشم رائحتهُ بل يأكلهُ ويغذي بدنهُ بهِ . والكتب غذاء العقول . والذاكرة التي تعي حقائق كثيرة علمية وادبية واشعاراً حكمية وفكاهية تعي كنزاً لا يثمن لكنها لا تحتمل كل ما يريد صاحبها ان تعيهُ الاَّ في ما ندر فليعرّضها وليقوّها ومتى رأى انها وصلت الى حد يصعب عليها أن تتعداهُ فليساعدها بالمذكرات يكتبها في دفتر يضعهُ في جيبهِ او في مكتبهِ يدوّن فيهِ كل فائدة يمرّ عليها ويستصحبهُ في سفرهِ ليراجع ما فيهِ فيرى فوائد لا تقدر قيمتها . ولا نشير بكتابة المذكرات الاَّ متى كلَّ عضب الدماغ وامتلأت الذاكرة بمحفوظاتها وصار يصعب عليها استحضارها لان الاعتماد على المذكرات يضعف الذاكرة . ولا بدَّ من الاختصار في ما يكتب وذكر اسم الكتاب والصفحة

وهناك امر آخر اكبر فائدة من نقل بعض العبارات والمعاني وهو انتقاد ما قرأتهُ واظهار رأيك فيهِ من استحسان او استهجان فان انتقاد الكتب على هذه الصورة افضل شيء لترسيخ فوائدها في الذهن والتنكيب عن عيوبها . والكتاب الذي يحرّكك لانتقادهِ وتصويبهِ او تخطئتهِ هو الكتاب الذي تفيدك مطالعتهُ . واذا حقَّ للازهار التي تقطفها من حديقة جارك ان تحفظها فالازهار التي تقطفها من حديقة عقلك اولى بالحفظ . فاكتب في مذكرتك ما ترتئيهِ في الكتب التي تطالعها . ولا تكتب في الصفحة الواحدة اكثر من موضوع واحد ولو لم يملأ ما تكتبهُ الاَّ سطرين منها لكي يبقى فيها مجال لكتابة ما يبدو لك في ذلك الموضوع . ولا تخلط موضوعاً بموضوع في صفحة واحدة . وحينما تراجع ما كتبتهُ بعد ان تمرَّ عليهِ الايام والشهور ترى نفسك ميالاً الى التوسع فيهِ فافعل وذلك خير تمرين للعقل والذاكرة . وما دونتهُ وندونهُ خير ذخر عقلي تستفيد منهُ

هذا وقد لخصنا جانباً كبيراً من هذه المقالة من خطبة للدكتور كلارك رسار نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

السلم والحرب

لما احتُفل بتدشين هيكل السلم في الهاي منذ ايام معدودة انقسم الرأي العام في اوربا الى فريقين فريق جدَّد فكرة نشر لواء السلم العام وتآخي البشر وتآلفهم وفريق سفَّه هذه الفكرة وهزأ بمروِّجيها ودعاتها قائلاً انهم مغترون بسراب . ولكلٍ من الفريقين براهين يستند اليها في تأييد مذهبهِ وحجج يدلي بها لافحام خصومهِ

اما الفريق الاول فيقول ان الناس كانوا متفرقين في اول امرهم افراداً ثم اجتمعوا عائلات فجماعات فاخذاً فبطوناً فقبائل فشعوباً وان من طبع الانسان الاجتماع لا التفرق فكما ان الناس تدرجوا في الاجتماع من افراد الى امة متحدة في المصالح متفقة في الاغراض والاهواء كذلك لا يعسر على الامم ان تعيش متآخية متصافية بمقتضى قوانين يسرن عليها كما يسير افراد الامة الواحدة بمقتضى قوانين بلادهم . فاذا وقع خلاف بين امتين او اكثر على امر من الامور استأنفتهُ الى محكمة دولية عليا يتفقن على انشائها فتحكم فيهِ مثلما تحكم المحاكم العادية في الخلاف الذي يقع بين الافراد فلا يعدن يحتدن الى السيف والمدفع لحسم ذلك الخلاف

فم ان انتقال الناس من الحالة الفردية الى الحالة الاجتماعية وتألبهم امماً وشعوباً استغرق الوف السنين ولكن الاحوال في تلك العصور كانت غيرها هذه الايام فكانت اسباب المواصلة حينئذٍ صعبة جدًّا وكانت كل امة تعيش على حدتها منفصلة عن سائر الامم فلا تربطها بها رابطة الاَّ اذا كانت دفاعية او عدائية ولم تكن هذه الربط طويلة الاجل . ولكن الشعوب في هذه الايام تعيش كأنها افراد عائلة واحدة فالبخار والكهرباء قرَّبا الابعاد فصار ابن مصر يخاطب ابن اميركا باسرع مما كان يستفرغهُ سميرهُ من العتبة الخضراء الى العباسية وابن سورية يصل الى اقصى الولايات المتحدة باقل مما كان يقتضيهِ سفرهُ من القدس الى حلب وصار كل شعب يعتمد على الآخر في اسباب معايشهِ . فالانكليز يعتمدون الآن في معيشتهم على ما يرد الى بلادهم من الحنطة وسائر انواع الغذاء من الولايات المتحدة وروسيا والهند ورومانيا وكندا وبرازيل واستراليا وغيرها وفي متاجرهم على ما ترسلهُ اليهم الولايات المتحدة ومصر والهند من القطن واسوج من الورق وكندا واميركا والشرق الادنى من الخشب والهند والهند الصينية من الكتان والقنب . وصارت الصين لا تقدم على مشروع

كبير او حمل عظيم الاَّ وتعتمد في تحقيقهِ على الاموال الاوربية . وما يقال عن انكلترا والصين يصدق على كل الامم بالمثل فالمانيا وروسيا والنمسا وايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وكل امة على وجه هذا المعمور لا تستطيع ان تعيش الآن منفردة عن سائر الامم ومنعزل كما كانت تفعل في العصور الغابرة بل انها لا تستطيع البقاء على ذلك طويلاً

وهناك عوامل الحضارة وزيادة احتكاك الشعوب بعضها ببعض واتفاق المصالح واهم من ذلك كلهِ ارتباط العمال والصناع في بلدان العالم وتبادل العواطف بينهم فصار العالم بذلك سلسلة متصلة الحلقات اذا اصابت حلقة منها مصيبة تأثرت لها سائر الحلقات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة وما نجم عنها من الملابسات في مختلف البلدان

وقد كانت الحرب صناعة الناس في الزمن الماضي والغزو الحرفة التي يرتزقون بها حتى ان كثيرين منهم كانوا يؤجرون نفوسهم لكل غازٍ وفاتح . ولكن ليس في العالم المتمدن الآن من يميل الى الحرب او يشتهيها . وقد صارت الشعوب تحكم نفسها بنفسها ولم تعد مسخرة لارادة بضعة رجال يتحكمون فيها كما يشاؤون . ولما كانت هذه الشعوب تكره الحرب لما تجرهُ من الويل والدمار والخسارة في الرجال والمال والكساد في التجارة وتوقف الصناعة باتت تنشد السلم وتبذل دون تأييدهِ كل نفيس وغالٍ . فهذه حرب البلقان الاخيرة اصدق شاهد على صحة ذلك فان مجال دخول الدول فيها كان متسعاً ولكنهن امتنعن عنهُ لعلمهن بما تجرهُ طيهن من المصائب والاحن . ولو حدث مثل هذه الحرب في الاعصر الغابرة لاشتبكت فيها دول اوربا كلها او بعضها وتطاحنت من غير روية او تبصر في عواقب اشتباكها وتطاحنها

وابلغ من ذلك كلهِ ان رجال الحرب انفسهم والواقفين حياتهم على خدمتها يذمونها ويسخطون على مضرمي نارها . فقد وصفها شرمان بالجحيم . وقال دوق ولنتون « ان النصر يتلوه الانكسار في شدة هولهِ وفظاعتهِ » وقال الجنرال السر تشارلس نيبير « من رأيي ان حياة الجندي تحاكي الراقص في غرفة طويلة كسيت جدرانها بالزجاج المكسَّر فلا ينتهي الى آخرها حتى يتجرح وجههُ باطرافهِ فينتبه لنفسهِ وتزول عن عينيهِ غشاوة الغرور والانخداع وهكذا يسير رجال الحرب في سبيلهم الدموي فرحين جذلين مخدوعين بامانيهِ الكاذب الى ان يفيقوا من غفلتهم . اما انا فلا ارى هذا السبيل لامعاً ساطعاً بل اراهُ احمر قاتماً »

ان تنازع البقاء وبقاء الاصلح امران بسيطان اذا نظر اليهما من حيث الانتخاب الطبيعي ولكن بساطتهما تزول اذا أُضيفت اعمال الانسان الى افعال الطبيعة فتطلق على

الناس معرفة الاصلح وزمن مجيئهِ فلا يعودون يدركون كيف يكون الاصلح أبالحرب ام بالحيلة ام بالسبق

كان الناس في اول عهدهم عزلاً من السلاح فدعاهم تنازع البقاء بينهم و بين الحيوانات الى استنباط الاسلحة فاخضعوا بها الحيوان ثم تنازعوا بها البقاء فباد ضعيفهم من أمام قويهم ولا يزال هذا التنازع دائرًا الى الآن على اساليب متنوعة وهو لازم للامم لزومهُ للافراد ولكن مما لا ريب فيهِ ان التنازع الطبيعي — اي ان يترك الامر للطبيعة لتبقي الصالح وتنفي غيرهُ — افضل من التنازع الاصطناعي . فقد وجد العلماء ان بعض الخمار الامريكي تبيض الواحدة منهُ اكثر من خمسين مليون بيضة في حياتها ومع ذلك لا يسلم منها الاَّ اثنتان في المتوسط . وهذا الاسراف كثير في كل انواع الحيوان والنبات والانسان لا يشذ عنها

وحجة مؤيدي الحرب ان الحروب من الاسباب التي تمنع زيادة النسل عمَّا تقوم بهِ البلاد ولكن المؤكد ان العوامل الطبيعية اشد منها كثيراً في ذلك المنع فقد ثبت بالاحصاء ان نمو الشعوب يقل ابان السلم اكثر مما يقل ابان الحرب فبرلين مثلاً من احدث عواصم الممالك الكبيرة واكثرها انتظاماً بل هي مثال ما يمكن ان تبلغهُ المدن في الانتظام المبني على الاصول العلمية ومع ذلك هبط عدد المواليد فيها اكثر مما هبط في لندن وباريس وذلك دليل على ان رفاه العيش يؤول الى قلة النسل

ولو كانت الحروب تثار لاسترداد حق مهضوم او لمساعدة الطبيعة على بقاء الاصلح لجاز لنا ان نسوغها ولكنها لا تثار لسوء الحظ الاَّ مجاراة للاهواء مثل حب السيادة والطمع بالكسب ونيل المجد وهذه تدفع اولياء الامور وقواد الجيوش واصحاب المصالح الى انشاء البوارج ونصب المدافع وصقل السيوف واعداد المبرة وسوق الجنود الى ميادين القتال

وزد على ذلك كلهِ ان الانسان غير مكلف ان يثير الحروب ليقتل من لا يستحق البقاء من نوع الانسان او من نقل وسائل المعيشة ببقائهِ لاسيما وان الذين يقتلون بها هم عادةً خيرة الامة وزهرة رجالها

يقول اهل الحرب ان الانسان ميَّال بطبيعتهِ الى الشر اكثر منهُ الى الخير وان الحرب اسى الوطنية وتبعث الفضائل فاذا ابطلت زالت الوطنية من قلوب الناس وتقلصت فيهم الفضائل . وقد فات هؤلاء الادعياء ان البراز كان عادة ممدوحة وشائعة في جميع انحاء العالم بطرق مختلفة فصار الآن عادة شائنة وممقوتة . وكان اباؤنا يباهون بمقاتلة الديكة ومناطحة الكباش فسخ ذلك ايضاً . وكانت الحيوانات تسام من الشقاء والعذاب مالا يطاق

فانشئت الآن الجمعيات لمنع القسوة على العجماوات - وكان الفقراء والمعوزون والعجزة والمرضى والمقعدون والقطاء يتركون وشأنهم يقاسون مرارة العيش وألم الامراض والاوجاع بلا راحم ولا مغيث فاقيمت لهم الآن دور الاحسان والمستشفيات والملاجئ لسد عوزهم وتنفيس كربتهم وتخفيف آلامهم . فزوال هذه وغيرها من العادات الوحشية التي كان يستحسنها الناس قديماً وصاروا يستهجنونها الآن دليل ناصع وحجة دامغة على ان الانسان لم يطبع على الميل الى الشر اكثر منهُ الى الخير بل انهُ كما تقدم في مضمار التمدن واخذ باسباب الرقي والحضارة زاد فيهِ الميل الى الخير وتغلبت عواطف الشفقة والرحمة فيهِ على عواطف القسوة والفظاظة

والوطنية او محبة الوطن لا تقوم باعتداء امة على جارتها ولا بتقحم قوم على قوم آمنين ولا بالاذعان لسورة الغضب والتزق واجابة داعي الاهواء والاغراض بل تكون بترقية الوطن وزيادة رفاهية اهلهِ وتوفير اسباب اليسر والرخاء لهم وبنشر العلم واعلاء منار الاداب ورفع مستوى الاخلاق وتخفيف المصائب والويلات والاعتناء بالصحة العمومية وتحسين النسل الى غير ذلك من الامور التي تزيد سعادة البشر وتكفل لهم الهناء

والفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة التزق والطيش وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة و يعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون عمرهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال والعالم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليلهُ ونهارهُ في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيهِ مرة وخيبة مساعيهِ اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذانك الاسكندر وارسطو وناپليون الاول وپاستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

وقد تبدلت الحال اليوم عما كانت عليهِ منذ نصف قرن فان النساء اخذن يلجن ابواب

الاعمال التي لم يكن يطرقها الاَّ الرجال قديمًا . وفي اوربا واميركا الآن نهضة نسائية يقصد بها اشتراكهن مع الرجال في الحكم

ويذهب القائلون بوجوب بقاء الحروب الى انهُ يستحيل على الامم ان تتفقَ على سن قانون دولي عام يتمشى عليها كما يتمشى قانون بلاد على اهلها لانها لم تعتد ذلك الى الآن . وهو رأي مردود بانهنَّ اتفقن على سن قانون دولي عام للبريد وآخر للغنائم التي تغنم من الامم المحايدة في اثناء الحرب وغيرهما من القوانين حتى انهن قيدن الحرب بقيود صار بعضها مرعيًا بحكم العادة و بعضها مرعيًا بحكم الواجب حفظًا للامن الدولي العام وتنفيذًا لقرارات المؤتمرات الدولية في هذا الشأن . فاذا كن قد اتفقن على ذلك فلا يستحيل عليهن الاتفاق على تخفيف شر الحروب تدريجًا

كانت الحروب في الزمن الغابر وحشية في غايتها ووسطتها وكان اساسها الحقد او الحسد والغرض منها الشفي والانتقام او الاذلال والامتهان وكان الاقدمون يذبحون اسراهم او يمثلون بهم افظع تمثيل ويحاولون قتل من تيسر لهم قتلهُ من الاعداء مستحلين في سبيل ذلك كل المحرمات . اما الآن فقد اصبح دأب قادة الامم وعقلائها اجتناب الحروب او تخفيف ويلاتها قدر الامكان . ولما لم يكن بد من استعمال الشدة والقسوة في الحروب وضعوا لها حدًّا لا يتعدى القصد الحقيقي من الحرب فحرموا انواعًا من الاسلحة والمقذوفات والقنابل لاعتبارهم ان الحرب تصل الى غايتها من غير ان تستخدم فيها هذه الوسائل الفظيعة فصار الناس مدفوعين بذلك وبناموس الحضارة والارتقاء الى الرفق بالعدو ومعاملة اسراهُ وجرحاهُ بالتودُّدة والعناية . ولكن قد يتفق ان يجنح احدُ المحاربين عن مراعاة هذه القوانين ويعمد الى الطرق المحرمة ليحمل عدوهُ على مقابلتهِ بالمثل فتكثر الفظائع وتنعدم المبرات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة فتقوم حينئذٍ قيامة العالم باسره على المقترفين . وهذا دليل على ان الامم اصبحت بمثابة جسم واحد تجمعها الانسانية ويربطها بعضها ببعض حكم الوجود وناموس الاجتماع وانها صارت متكافلة متضامنة بحيث لو خالفت احداها سيرها المعتاد أضر ذلك في المجموع كلهِ . وليس هذا التكافل والتضامن الاَّ مقدمة لاجتماع الامم كلها تحت قانون واحد كما كان تكالف بعض القبائل والشعوب وتضامنها مقدمة لاجتماعها في امة واحدة يتمشى عليها قانون واحد فتعيش متصافية بسلام واطمئنان

يقولون ان الاحقاد والضغائن من اكبر الاسباب المثيرة للحروب واهمها وانهُ لا امة في هذا الوجود الاَّ ولها ثأر على امة اخرى وما دام عاملا الحقد وحب الاخذ بالثأر يتفوران في الصدور

فلا امل باستئصال الحرب واستتباب السلم بين الامم . ولكن هذا القول كان يصح اطلاقهُ في الماضي لما كانت كل امة خاضعة لارادة شخص واحد تأتمر بأوامرهِ وتنتهي بنواهيهِ اما الآن فالامم لا تعمل الاَّ بارادتها فهي تعلم ما توجبهُ عليها مصلحتها وكيانها فتحكم العقل على القلب وتخضع لحكمهِ . ولا نظن ان الحقد والعداوة بلغا بين امة واخرى ما بلغاهُ من الفرنسويين والانكليز . ولكن مصالح الامتين قضت عليهما بالتقرب فالتفاهم فالاتفاق على تسوية ما كان بينهما من الاختلافات فزال بذلك ما كان بينهما من الضغائن والاحقاد . ولا يبعد ان تفاجئنا الايام بزوال ما بين فرنسا والمانيا الآن من العداوة الشديدة لاسيما وان عقلاء الامتين اخذوا يسعون في التقريب بينهما كما سبق عقلاء الفرنسويين والانكليز فقربوا بين امتيهما . وما دامت المصالح قد صارت المحور الذي تدور عليهِ علائق الدول وكانت هذه المصالح توجب الابتعاد عن الحروب لما تنزلهُ بها من التأثير السيئ وتقضي بزيادة التقرب بين الامم فانها ستكون اكبر الاسباب في ازالة الحروب

ان العوامل التي تعمل على تأييد السلم بين الامم الآن كثيرة اهمها الاربعة التالية

اولاً — العوامل التي لا تعمل مباشرة في شد اواصر الود والصفاء بين الامم وفي مقدمتها العلوم الطبيعية وعلم الطب . فالعلماء رفقاء بل اخوان معما تباينت اجناسهم ونأت بلدانهم . والغرض الاول من هذه العلوم ليس توطيد اركان السلم بل نفع البشرية ووقاية الناس من فتك الامراض والاوبئة وتسخير القوى الطبيعية لزيادة رخائهم وسعادتهم ولكن ليس من ينكر ان هذه الامور كلها من مؤيدات السلم ومعضداتهِ . فالصنائع والكهربائية والتعدين وسكك الحديد والملاحة وغيرها صار يبحث فيها الآن في مؤتمرات دولية يؤمها الناس من جميع انحاء المعمور وليس العهد بالمؤتمر الطبي الدولي الذي عقد في لندن في الشهر الماضي ببعيد

وكذلك المعارض العمومية التي تقام في البلدان المختلفة فانها من الاسباب التي تقرب الشعوب بعضها من بعض وتمكن الصداقة بينها حتى لقد قيل ان المعرض الابيض الذي اقامهُ الفرنسويون والانكليز في لندن منذ ثلاثة اعوام كان من اكبر الاسباب التي دعت الى توطيد الاتفاق الودي بين الامتين وترجيحهِ على قرار مكين

اما المعرض العام الذي عزمت حكومة الولايات المتحدة على اقامتهِ بعد عامين في سان فرنسيسكو عند الاحتفال بفتح قناتها فان حكومتين من اكبر حكومات العالم قررتا ان

لا تشترك فيه دلالة على امتيازهما من تفضيل تلك الحكومة شركات الملاحة التي في بلادها والتي تمتاز بواخرها ذلك التفضيل على شركات الملاحة في بلاد بهما فساء ذلك الاميركيين وحكومتهم واخذت صحفهم تصب جام امتعاضها وسخطها على تينك الحكومتين فقام شعباها يطالبانها بتعديل قراريهما ويثيران عليها بوجوب مشاركة الحكومة الاميركية مهما كانت الاعتبارات التي منعتها من الاشتراك في بادىء الامر لئلا يعلق اثر مي؟ في اذهان الاميركيين من جراء ذلك

ثانياً — العوامل التي تعمل مباشرة على شد اواصر الصداقة والتآخي بين الامم وتبادل العواطف الطيبة بينها. واهم هذه العوامل التزاور الذي كثر هذه الايام بين الملوك ورؤساء الحكومات والهيئات البارلمانية والبلدية والتجارية فقد كان ذلك باعثاً على اتفاق الامتين الفرنسوية والانكليزية والامتين الروسية والانكليزية وسبباً في التقرب الحاصل بين الانكليز والالمان الآن

ولا تنتصر الفائدة الناجمة عن هذا التزاور على الهيئات الرسمية والتجارية فقط بل تشمل تزاور هيئات العمال بعضها لبعض ايضاً

وقد القت جمعية دولية كبيرة انتظم في سلك عضويتها مئات الالوف من العمال من جميع البلدان غايتها السعي الى توحيد كلمة العمال في جميع انحاء العالم وجعل التآخي والسلم العام شعارهم وانشئت في الولايات المتحدة جمعية كبيرة لنشر تعاليم السلم بينهم وحثهم على عطف بعضهم على بعض بحيث لو رأى عمال بلادين ان حكومة من حكومتيهم شهرت الحرب على الاخرى ظلماً وبغياً اضربوا عن العمل في كلتا البلادين فشلوا بذلك يد الحكومة المعتدية والحكومة المعتدى عليها فلا تعودان تستطيعان الحرب

ثالثاً — العوامل التي تعمل على توطيد اركان السلم وذلك بترسيخ حب السلم في قلوب عامة الناس وحملهم على التمسك باهدابه . واعظم هذه العوامل جمعيات السلم المنتشرة في انحاء اوربا واميركا وهي تعد بالمئات . وقد عقدت هذه الجمعيات مؤتمر السلم الدولي الاول في لندن سنة ١٨٤٣ والمؤتمر الثاني في بروكسل في السنة التالية . وتلا ذلك اكثر من ثلث قرن احتدمت فيه نار الحرب بين بعض الامم فلم يكن في الامكان استئناف عقد هذه المؤتمرات الى سنة ١٨٧٨ لما عقد المؤتمر الثالث في باريس . وعقد المؤتمر الرابع في تلك المدينة ايضاً في اثناء المعرض الفرنسوي الذي أقيم سنة ١٨٨٩ ومن ثم انتظم انعقاد هذه المؤتمرات وعقد آخر مؤتمر منها هذا العام في بروكسل عاصمة البلجيك

وقد كان ذلك باعثاً على تأليف مؤتمرات وطنية في فرنسا وانكلترا لتعضيد المؤتمرات الدولية وشد ازرها . والمساعي مبذولة الآن لتأليف مؤتمرات وطنية مثلها في المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا واسبانيا وغيرها من ممالك اوربا

ولا يخفى ما لهذه المؤتمرات من الفوائد في تعميم فكرة وجوب فصل الخصومات بين الدول بالتحكيم ووضع حد للتسلح والى غير ذلك من المسائل التي تبحث فيها في اجتماعاتها

رابعاً — العوامل التي تعمل على ازالة اسباب التحرش والتحكك بين الامم وذلك بسن قوانين دولية جديدة والاكثار من التشريع الدولي الذي يوجبهُ اشتراك المصالح الدولية

واول هذه العوامل واعظمها كلها ندوة التشريع الدولي وهي مؤلفة من ستين عضواً وستين مساعداً ينتقون من عظماء المحامين في العالم ويشترط في الاعضاء ان يكونوا من الفضلاء الذين خدموا التشريع الدولي عملياً او نظرياً وفي المساعدين ان تكون معارفهم وسعة اطلاعهم مما يفيد الندوة وقد الفت سنة ١٨٧٣ بمساعي المسيو رولن جكمين الفرنسوي

وتلي هذه الندوة في الاهمية نقابة التشريع الدولي وقد الفت سنة ١٨٧٣ ايضاً للغرض ذاته فنقابة التشريع الدولي الاميركية التي أُلفت سنة ١٩٠٦ فجمعية التشريع الدولي السويسرية

وهناك الاتحاد البرلماني الدولي وهو مؤلف من جماعات من اعضاء برلمانات الممالك المختلفة والغرض منهُ حمل حكامهم على اتباع مبدإ التحكيم في حسم خصوماتها وغيره من المسائل الدولية المهمة وذلك اما بالاقتراع عليها في المجالس النيابية او بوسائل اخرى يتخذونها لاقرار مبدإ التحكيم وجعله مرعياً في بلدانهم المختلفة

وقد افادت الجائزة التي عينها الفرد نوبل مكتشف الديناميت لاعظم الساعين في خدمة السلم العام او اكبر الكتاب الذين ينشئون احسن مؤلف عن تآخي الامم وعما يعود بانقاص التسليح وتجييش الجيوش و بزيادة جمعيات السلم ومؤتمراته في العالم

وفي اوربا الآن ثمانية ملايين من الاشتراكيين عدا بضعة ملايين غيرهم منفرقين في سائر انحاء المعمور ولما كان الغرض الذي ترمي اليهِ الاشتراكية هو التعاون الاجتماعي فهي من العوامل العديدة التي تؤيد السلم وتوطد اركانهُ (المقطم)

اوغسط بيل

نعى البرق في الثالث عشر من شهر اغسطس الماضي زعيم الاشتراكيين في المانيا اوغسط بيل الذي عزّز مقام الاشتراكية فيها حتى جعل لها من الاعضاء في مجلس النواب الالماني ١١٠ وعدد منتخبيهم ٤٢٥٠٠٠٠ بعد ان كان عددهم منذ ثلاثين سنة اقل من عشر ذلك

ولد هذا الرجل في ٢٢ فبراير سنة ١٨٤٠ وابوهُ من صف الضباط في الجيش الالماني وامهُ ابنة خباز . وكان راتب ابيهِ زهيداً جدًّا لا يكفي لمعيشة عائلتهِ الاَّ بالتقتير الشديد وكذا كان شأن غيرهِ من الضباط والجنود في ذلك الحين حتى قيل ان بروسيا نالت عظمتها بجوع جنودها . وكثيراً ما كان ابوهُ يعود الى بيتهِ في المساء وهو يلعن الساعة التي انتظم فيها في الجندية ويوصي امرأتهُ ان لا ترسل ولديهِ الى دار الايتام اذا توفي لئلاَّ يضطرا الى الانتظام في الجيش

وتوفي ابو بيل فتزوجت امهُ بسلفها حاسبة انهُ يعتني بولديها لانهما ابنا اخيهِ وكان مجانًا فعامل الولدين كما يعامل المسجونين بالقسوة والصرامة لكن حياتهُ لم تطل لانهُ كان مصابًا بالسل فتوفي وعمر بيل ست سنوات

وأُرسل بيل الى المدرسة فكان شأنهُ فيها الانتصار لاترابهِ اذا اراد المعلم الاقتصاص منهم حتى لُقّب لقبًا مسماهُ « طالب العدل معها كلّفهُ »

ولما حدثت الثورة في بروسيا سنة ١٨٤٨ و١٨٤٩ كان عمرهُ نحو تسع سنوات وكانت العقول مختمرة حينئذٍ بالسياسة ووقع جدال بين التلامذة انرابهِ فانتصر هو وتلميذ آخر للملكية فاوسعها معلمها ضربًا . وقد اشار بيل الى ذلك بعد حين قائلاً « اذا قال خصومي ان الملكية والوطنية شيء واحد فليعلموا اني أُضطهدتُ لاجل هذه الوطنية لما كان اسلافهم معادين لها » وتوفيت امهُ وعمرهُ ثلث عشرة سنة فانتقل الى بيت عمتهِ وفي السنة التالية خرج من المدرسة وود ان يتعلم الهندسة فقال لهُ عمهُ من اين تأتي بنفقات المدرسة فصرف هذا الخاطر من ذهنهِ وعزم ان يتعلَّم الخراطة عند خراط من معارف امهِ . وكان نحيف الجسم لقلَّة ما كان يحصل عليهِ من الطعام حتى كان احب شيء اليهِ ان يشبع ولو مرةً واحدة من الخبز والزبدة . ولما تمَّ تعلُّم الخراطة استخدم عند خراط وكانت اجرتهُ عشرة غروش في الاسبوع وقاسى مرة وخسر غرشين فآلى على نفسهِ ان لا يقاسي ابدًا فنجا من هذه الحلة . وذهب الى فريبرج وانضم الى مجمع العمال الكاثوليك فسرَّهُ الانضمام اليهم وتعلَّم منهم ومن

كهنتهم اشياء كثيرة وتمرّن في المحاظرة والخطابة وانتقل الى ليبسك وكان قد صار في العشرين من عمره وجعل يجتمع مع العمال ويحثهم على طلب زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وكأنهُ حثهم على الاعتصاب قبل ان سمع هذه الكلمة

وسنة ١٨٦١ حضر اجتماعاً عقدهُ اساتذة جامعة ليبسك لانشاء جمعية لاصلاح شأن العمال فانتظم عضواً في هذه الجمعية وانتخب ليكون حافظاً لمكتبتها وادارة اعمالها. فوقف على احوال العمال وحاجاتهم ورغائبهم . وسنة ١٨٦٣ نشر لاسل زعيم الاشتراكيين منشورهُ الذي يُعدُّ مبدأ للاشتراكية الالمانية فتغيرت جمعية العمال وسميت جمعية نشر المعارف بين العمال وانتخب بيل رئيساً لها ومن ثمَّ كثرت اشغالهُ وعلا مقامهُ بين العمال بسعيهِ المتواصل في مصلحتهم وقراراتهِ المحكمة وهو رئيس جمعيتهم وتوفيقهِ بين الاحزاب المعتدلة والمتطرفة منهم. وتعرف حينئذٍ بليبكنخت الاشتراكي المشهور وكان قد اتى الى ليبسك ليخطب في العمال وبقيا صديقين الى ان ادركت ليبكنخت الوفاة

وتعب بيل في مقاومة رجل اسمهُ فون شوتزر كان دأبهُ القاء الشقاق في صفوف العمال مدعياً الدفاع عنهم فبيّن بيل انهُ آلة في يد بسمارك لاحباط مساعيهم وتفريق كلمتهم . وسنة ١٨٦٧ انتخب عضواً في مجلس المانيا الشمالية عن مقاطعة سكسونيا فمضى الى برلين وفؤادهُ يخفق وجلس مع نواب المملكة وخطب اول خطبة في الدستور فانتقد سياسة بروسيا وقال ان توحيد المانيا الذي ارتآهُ بسمارك ليس في مصلحة المانيا كلها بل في مصلحة بروسيا والاسرة المالكة وان هذا التوحيد سيجعل المانيا ثكنة حربية لتمثة الجيوش وينزع منها ما فيها من بقايا الحرية والحقوق العمومية . فأثّرت هذه الخطبة تأثيراً شديداً في المجلس وخارجهِ حتى قالت احدى جرائد العصر انها كانت كصوت نداء بالثورة تردده جدران المجلس

ونشبت الحرب بين المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ وقال بسمارك ان فرنسا هي المعتدية على المانيا وان المانيا مدافعة لا مهاجمة اما بيل فقال ان بسمارك هو الذي اغضب فرنسا ودعاها للحرب . فاشتد الخصام في مجلس النواب بين حزب الحرب وحزب الاشتراكيين واجتمع حزب الاشتراكيين واحتج على اثارة الحروب كلها الاَّ حرباً تثار لاجل الحرية والعمران واحتج ايضاً على كل حرب تثار لاجل اسرة مالكة لانها تودي بحياة الالوف ومصالح الملايين لسد مطامع اهل السلطة. وايَّد هذا الاجتماع عمل الاشتراكيين الفرنسويين ولاسيما العمال منهم الذين كانوا يسعون في ابطال الحرب وطالب من كل محبي الحكم الجمهوري في المانيا ومن كل العمال الالمانيين ان يرفعوا صوتهم ضد الحرب

وطلبت الحكومة من المجلس ان يقترع على عقد قرض لنفقات الحرب فابى بسمارك الموافقة على هذا الاقتراع. ولما نودي بالحكومة الجمهورية في فرنسا حيّاها هو وحزبهُ احسن تحية وودّ ان المانيا تحذو حذوها يوماً ما. فعيل صبر الحكومة حينئذٍ وقبضت على كثيرين وزجتهم في السجن ومنعت الاجتماعات العمومية. وبعد شهرين طلبت عقد قرض آخر لنفقات الحرب مقدارهُ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فاعترض بسمارك عليهِ وعلى ضم الالزاس واللورين الى المانيا ويقال ان خطبتهُ التي اعترض بها على القرض الاول كان لها اعظم وقع في بلاد المانيا كلها لانهُ شهّر فيها بالاغنياء وظلمهم وبخلهم

وقبضت الحكومة عليهِ وعلى صديقهِ لبكنخت في اواخر تلك السنة وزجتهما في السجن متهمة اياهما بالخيانة لكن حزبهُ الخيّر لمجلس النواب باكثرية كبيرة جدًّا فاضطرت الحكومة ان تخرجهُ من السجن لكي يحضر جلسات المجلس ثم جرت محاكمتهُ فلم تثبت الخيانة عليهِ ولا على صديقهِ لكن الحكومة سجنتهُ في احد الحصون سنتين بامر بسمارك فافادهُ السجن فائدة لا تقدَّر لانهُ كان قد اصيب بالسل واتلف ميكروب السل رئة من رئتيهِ لشدَّة ما قاساهُ من التعب والفاقة فلما استراح في السجن شفي من السل تماماً. ثم حُكم عليهِ ثانية بالسجن بدعوى انهُ اهان الامبراطور وجعلت مدة سجنهِ ٣١ شهراً فقضاها في درس التاريخ والاقتصاد السياسي وتوسيع معارفهِ العلمية

ولم يضعف سجنهُ شأن الاشتراكية بل زادها انتشاراً فقد كان عدد الناخبين من الاشتراكيين نحو ثمانين الفاً فقط فبلغوا ٢٣٦ الفاً سنة ١٨٧١. ولما تمكن من طرد شوتزر صنيعة بسمارك اتحد الاشتراكيون كلهم وصاروا حزباً سياسيًّا باسم حزب العمال الاشتراكي. واشتدَّ حينئذٍ اضطهاد بسمارك لهم واتهام جرائدهم بالقذف والقبض على محرريها وسجنهم فقوي ساعدهم وكثر عددهم. ولا شيء مثل الاضطهاد لتقوية الاحزاب فقد كان عدد اعضاء هذا الحزب حينما انضم بيل اليهِ سنة ١٨٦٧ نحو ٢٥٠٠٠ نفس فنما وتقوى حتى بلغ عدد الناخبين منهُ ٣١٢٠٠٠ سنة ١٨٨١ و١٤٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ و٤٢٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وصار للعمال منهم ١١٠ اعضاء في مجلس النواب مع ان عدد اعضائهِ كلهم لا يزيد على ٣٩٧ وقد كان فوز بيل هذا بعد تعب شديد وبذل النفس والنفيس في مصلحة العمال واصلاح امورهم وجمع كلمتهم خير اثر يذكر بهِ

ولما اعتزل بسمارك السياسة سنة ١٨٩٠ قلَّ اضطهاد الحكومة لحزب العمال الاشتراكي وقلت مناصبة الحزب للحكومة لانهُ قام فيهِ اناس يرون ان النجاح منوط باصلاح الحكومة

لا بقلبها وان هذا الاصلاح يجب ان يتدرّج تدرّجاً . وقد امتاز بيل على بسمارك بانهُ لم يتبع الخطة القاضية بارغام من يخالفهُ على طاعتهِ بل اتبع خطة المسالمة ووزن الامور بميزان العقل فكلما قام لهُ مخالف في حزبهِ ناقشهُ في رأيهِ فاذا وجدهُ صواباً اتبعهُ واذا وجدهُ خطاء اقنعهُ بخطائهِ . وعندهُ ان آراء الانسان وتصرفاتهِ يجب ان تتغير حالما يثبت خطأها وقد كتب في ذلك ما ترجمتهُ

« لقد كان مبدإي الذي جريت عليهِ دائماً ان اعدل من كل رأي حالما يثبت لي خطأهُ واتبع الرأي الذي يثبت لي انهُ اصح منهُ واداقع عنهُ بكل جهدي ما دمت اراهُ صواباً ولا يمنعني من ترك رأي اراهُ خطأ ان لي اصدقاء شركاء فيهِ وتركي لهُ يغضبهم ويحرفهم عليّ لاني احسب ان الاغراض التي نرمي اليها اهم جداً من الاصدقاء والاقارب »

واتباعهُ هذا المبدأ ابقى جمهور الاشتراكيين ملتفاً حولهُ مع تغير احوالهم فانتخبوهُ لمجلس النواب عن غلوشوميران من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٦ وعن درسدن من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٣ وعن همبرج من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٣ وعن ستراسبرج الى سنة ١٨٩٨ وعن همبرج ثانية من سنة ١٨٩٨ الى حين وفاتهِ اي انهُ بقي في مجلس النواب اكثر من اربعين سنة ما عدا الخمس سنوات التي كان سجيناً فيها لكنهُ انقطع عن حضور جلسات المجلس في السنوت الاخيرة ملقياً حملهُ فيهِ وفي ادارة حزبهِ على عواتق الشبان والكهول

ولقد امتاز على غيرهِ من الزعماء بانهُ كان يسعى دائماً الى تمكين عرى الاتحاد بين الاشتراكيين الالمان واشتراكيي غيرهم من الامم وبينهم وبين سائر العمال الذين يحتاجون الى من يساعدهم ويرقي شأنهم كان الغرض الذي يرمي اليهِ هو الاخاء العام في الدنيا كلها حتى يتآخى الناس كلهم ويعيشوا بالسلام والاطمئنان وتنتفي الحروب من الدنيا لان ويلاتها تقع على الجنود والعمال والفقراء عموماً . ولما خيف من نشوب الحرب بين المانيا وفرنسا في مسألة مراكش او بينها وبين انكلترا منذ سنتين عقد مؤتمر الاشتراكيين الالمانيين العام في بانا والقتهُ بخطبة ضد الحرب كان لها وقع عظيم في النفوس فاضطرّ الراغبون في الحرب ان يسمعوا صوتهُ لان وراءهُ اكثر من اربعة ملايين رجل يؤيدونهُ

والذين يعرفونهُ يقولون انهُ كان وديعاً انيس المحضر الاّ اذا اهتم بمسألة عمومية فانهُ يصير حينئذٍ اسداً عضنفراً . ومنذ بضع سنوات قطع لهُ احد الضباط المتقاعدين مالاً سنوياً فاشترى بيتاً صغيراً قرب زورك بسويسرا وصار يقيم فيهِ كلما اراد الراحة من عناء الاشغال ولم يكن في سعة مالية ولا كان من كبار الخطباء ولكنهُ كان قوي الحجة في المناظرة ماهراً

في مرد الادلة والبراهين وكلما حضر في مجلس النواب شعر كل احد بوجوده فيه كأنهُ ملأ المجلس . ولعلَّ العمال تعلقوا به اكثر مما تعلقوا بغيره من زعماء الاشتراكية لانهُ كان منهم وكان عارفاً بكل ما يقاسونهُ من العناء فيكلمهم بلسانهم وبما ينطبق على عقولهم وتصادق عليهِ قلوبهم او كما قيل ان العمال كانوا ينظرون اليهِ كواحد منهم وافضل رجل فيهم ويقولون انهُ يمثل الحالة التي يصلون اليها حينما تصلح امورهم كانهُ موسى الكليم يقود بني اسرائيل الى ارض الموعد وكان فوق ذلك منصفاً بعيداً عن الدعوى كتب ترجمة حياتهِ ونسب كل ما أوتيهِ من النجاح الى التوفيق والصدف ولكن التوفيق والصدف تعرض لكل احد ولا يغتنمها الاَّ الحازم الندب

قصر السلام

ما دام كثيرون من اهل الثروة والجاه يكتسبون من الحروب مالاً وجاهاً فهم يبذلون كل وسيلة لاثارتها حتى لا تزول موارد كسبهم ولا تقل

وهذا لا ينفي فائدة الوسائل التي استعان بها بعض الفضلاء على تهجين الحروب وترغيب الدول في فض خصوماتهم بالتحكيم . ومن هذه الوسائل اقامة قصر السلام في مدينة الهاغ عاصمة هولندا وجعلهُ محلاً لقضاة التحكيم وناديا للمؤتمرات السلمية . ويقال انهُ خطر للمرحوم المستر ستد منشيء مجلة المجلات الانكليزية منذ عشرين سنة ان يتوسَّل بقيصر روسيا اسكندر الثالث ليسعى في تقليل التجنيد والتسليح حاسباً ان الملوك اقدر من غيرهم على ابطال الحروب مع ان الامر في يد وزرائهم وهم اقل حولاً وطولاً من صانعي البنادق ومقرضي الاموال للممالك وهؤلاء لا سبيل الى صرفهم عن عملهم بالكلام والتوسُّل وان لم يقم الجمهور عليهم ويقل ايديهم عنوةً فلا شيء يصرفهم عن نيل اغراضهم

ونجح المستر ستد في جعل كثيرين يوقعون عريضة بعث بها الى القيصر على يد نظارة الخارجية الانكليزية فاهتمَّ القيصر بالامر لانهُ كان راغباً فيهِ ولكن نشبت حرب الصين التي تألبت فيها اكبر الحكومات الاوربية والاميركية على تلك المملكة الشرقية ودخلت عاصمتها عنوةً . وتوفي القيصر بعد قليل فقام ابنهُ القيصر الحالي وازاد ان يتم العمل الذي شرع فيهِ والدهُ . وروسيا مملكة تستدين الاموال لا تدينها وهي ليست مثل البلدان التي فيها اغنياء كبار ربحهم من حمل الممالك على اثارة الحروب واستدانة الاموال ومعامل لبناء

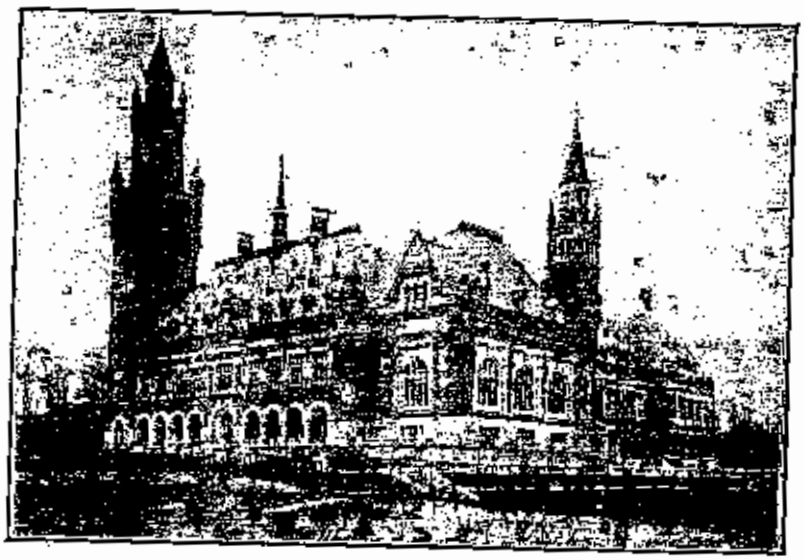

قصر السلام

كارنيك

كارنجي

المقتطف عدد ٤٣ صفحة ٣٦٦

البوارج وسبك المدافع ولذلك لم يكد يعلن قيصر الروس رغبتهُ في عقد مؤتمر السلم حتى ضحكت عليهِ جريدة التيمس وغيرها من الجرائد الانكليزية والفرنسوية الكبرى لعلمها ان الحل والربط في هذه المسألة ليسا في يدهِ ولا يد احد من الذين يوافقونهُ على رأيهِ ومع ذلك رحَّب الناس بهذه الدعوة وعُقد المؤتمر سنة ١٨٩٠ وقبل ان ينقطع صدى الهاتفين لهُ اعلنت روسيا الحرب على اليابان وكان من امرها ما كان فدلَّت على ان المصالح تغلب الاميال

وفي بلاد الانكليز رجل هاجر الى اميركا عاملاً صغيراً ورجع منها غنياً كبيراً يعدُّ ثروتهُ بعشرات الملايين من الجنيهات . وقد استخدم جانباً كبيراً من اموالهِ في خير ما تستخدم لهُ الاموال التعليم والتهذيب والبحث عن الحقائق العلمية . وقد قام في نفسهِ ان ينشئ داراً كبيرة في عاصمة هولندا يلتئم فيها رجال السلم فاعطى حكومة هولندا سنة ١٩٠٣ ثلثمئة الف جنيه لبناء هذه الدار او هذا القصر لكي يكون مجلساً لمحكمة التحكيم التي انشئت سنة ١٨٩٩ وناديًا لاجتماع مؤتمرات السلم . فقبلت حكومة هولندا هذه الهبة بالشكر واشترت للبناء ارضاً دفعت ثمنها ٥٦ الف جنيه . وقد اقتضى تشييد البناء واتمامهُ عشر سنوات وقع فيها معظم العناء على المسيو كارنيبك وزير الداخلية في حكومة هولندا الذي كان نائب رئيس المؤتمر الاول

ووراء البناء آكام رملية تغطيها الاشجار الفضاء وحولهُ جنائن نضرة وهو مربع الشكل طولهُ ٢٥٢ قدماً وعرضهُ ٢٥٨ قدماً وفي وسطهِ حديقة كبيرة كأنهُ من القصور الشرقية في نظامهِ لكنهُ يخالفها بما فيهِ من التماثيل الكثيرة التي تزين ظاهرهُ وداخلهُ كتماثيل العلم والصناعة والزراعة والملاحة والتجارة والفصاحة والضمير والارادة والسلطة والدرس والحكمة والانسانية والثبات والعدل والشريعة والسلم . وستوضع فيهِ تماثيل اخرى غير رمزية مثل تمثال هيغو غروتيوس الهولندي رائد الذين ستوا شرائع الدول وتمثال الملك ادورد السابع ملك الانكليز الذي يلقب بملك السلام وتمثال السر رندل كرمر منشئ اتحاد مجالس النواب وتمثال المستر ستد الذي كان لهُ اليد الطولى في عقد مؤتمر السلم

وزجاج بعض كواهُ ملون وفيهِ كثير من الصور الرمزية كصورة الهة السلام وقد القت اشعتها الذهبية على العلوم والفنون والبر والبحر والصناعة والتجارة، وصورة ابطال الحرب القدماء وما كانوا يجترحونهُ من الفعال البربرية فترى الدماء تقطر من سيوفهم ورماحهم والامهات يهربن منهم باطفالهن واشلاء القتلى تملأ الارض وفوقها تمثالا الرعب والموت

وفي القصر مجلس العدل وهو غرفة كبيرة طولها ٧٥ قدماً وعرضها ٤١ قدماً تسع ٤٠٠ نفس واذا وضع امام كل منهم مكتب يكتب عليهِ فتسع ٢٠٠ نفس ولا يحتمل ان يبلغ

عدد نواب الدول هذا المبلغ لان حكومات المسكونة كلها ٤٧ حكومة وقد حضر في المؤتمر الثاني نواب عن ٤٤ حكومة منها . وفي احدى كوى هذه الغرفة صورة الحقيقة عارية ترى نفسها في مرآة وصورة الهة العدل وفي يدها سيف مسلول

وغرف الدار كثيرة رحبة وكلها مفروشة احسن فرش ومزدانة بالصور والتماثيل ولا شبهة في ان نفقات البناء وفرشه فاقت هبة كارنجي كثيراً ولكن جانباً كبيراً مما فيه هدايا اهديت اليه من البلدان المختلفة فالغرانيت الذي بنيت به اسافل الجدران كلها هدية من مملكتي اسوج ونروج والفسقية التي في وسط الحديقة الداخلية هدية من الدنمرك والرخام الكثير في مماشي البناء هدية من حكومة ايطاليا وسلم الرخام الاكبر هدية من مدينة الهاغ والتماثيل التي عند قاعدته هدية من جمهورية الارجنتين وارض البناء وزجاج الكوى الكبرى المزدانة بالصور المشار اليها آنفاً هدية من حكومة هولندا . والكوى الزجاجية في مجلس القضاء الاكبر من بريطانيا . واهدت فرنسا صورة كبيرة للمجلس الاكبر وبساطاً من الفوبلين للمجلس الاصغر واهدت تركيا بساطاً كبيراً لغرفة النظار واهدى قيصر روسيا كأساً كبيرة بديعة من اليشب . والمجرمت كؤوس ثمينة والنمسا مت ثريات والولايات المتحدة تماثيل من الرخام والبرنز وبرازيل خشباً من النوع الوردي والاطلسي لتبطين بعض الغرف والصين اربع كؤوس كبيرة واليابان صوراً كبيرة من الحرير المطرز وسان سلفادور الخشب الخاص بها لغرفة مساعد السكرتير وهايتي اثاث تلك الغرفة . ورومانيا اربعة بسط وسويسرا ساعة كبيرة وضعت في برج القصر وبلجكا غلق الباب الاكبر وهما من الحديد المزخرف والمانيا السور الذي امام مدخل البناء وابوابهُ الحديدية كأن ابواب السلم في يدها تفتحها متى شاءت وتقفلها متى شاءت

وفتح هذا القصر باحتفال عظيم في ٢٨ اغسطس الماضي فاقبلت ملكة هولندا اليه بموكبها ومعها ابنها وزوجها وجلست في صدر الغرفة الكبرى المعدة لجلوس قضاة التحكيم وتبعها المستر كارنجي وزوجتهُ وجلسا عن يمين ام الملكة . ونهض حينئذٍ الوزير كارنيبك وتكلم بالفرنسوية فذكر خلاصة ما جرى في امر السلم والتحكيم وكيف دفع ذلك المستر كارنجي الى انشاء هذا القصر وقال لهُ بالانكليزية « ان هذا اليوم يوم مجيد لديك وانت واقف امام ملكة بلادي وفي حضرة ممثلي المسكونة كلها كمؤسس لاول هيكل من هياكل السلم » ثم شكر الامم المختلفة على هداياها التي اهدتها الى هذا القصر وتناول اخيراً مفاتيح القصر وقدمها الى فان سوندرن رئيس مجلس التحكيم الدائم فنهض هذا واستلم المفاتيح وتكلم قائلاً هل يقوم هذا القصر بما

الشيخ لاجلوم ثم اجاب عن هذا السؤال قائلاً كلاً اذا توقعنا منهُ ان يشرلواء السلم في العالم حالاً ولكن نعم اذا لم نطلب ما يستحيل على الناس تحقيقهُ . فانهُ ما من خلاف بين دولة واخرى الاَّ ويمكن فضهُ اذا رغبت الدولتان في ذلك . وما من خلاف بين دولتين الاَّ وهو في درجة من الاهمية حتى يوجب امتشاق الحسام اذا ارادت احداهما ذلك . ثم اشار الى المستر كارنجي فقال انهُ اشد الذين هناك سروراً لانهُ يمثل ثروة اكتُسبت بالتعب والنصب ثم أوقفت على نفع البشر

خمارويه والي مصر (١)

﴿ ابو الجيش خمارويه ٢٧٠ — ٢٨٢ هـ (٨٨٤ — ٨٩٦ م) ﴾ — تولى إمارة مصر بعد احمد بن طولون والدهُ خمارويه ، وهو في العشرين من عمرهِ . اما اخوهُ العباس فكان لا يزال معتقلاً ، والرعيةُ نافرةٌ منهُ لانهُ عقَّ اباهُ ، وكفرَ بنعمتهِ . على ان اباهُ اوصى لهُ قبل وفاتهِ بولاية الشام تحت سيادة اخيهِ خمارويه ، ولكنهُ لم يتمتع بتلك الولاية ، لان اخاهُ امر بقتلهِ لتمنُّعهِ عن الاعتراف لهُ بالإمارة

ولم يستتب الامر لخمارويه في الشام بعد قتل اخيهِ ، وذلك ان ابن كَنْدَاج ، عامل الخليفة على الموصل ، وابن أبي ساج ، عاملهُ على الانبار ، وغيرهما من الولاة حاولوا نزع سورية وغيرها مما ملكتهُ مصر في آسية ، واعادتهُ الى حوزة الموفَّق . وكانت حجتهم في ذلك ان خمارويه مُغتصب الإمارة ، بأخذها إرثاً عن ابيهِ دون ان يُعينهُ فيها صاحبُ الخلافة . وقد وافقهم على ذلك بجيوش دمشق . فعقد خمارويه لابي عبد الله احمد الواسطي على جيشٍ الى الشام ، وعقد لسعد الاعسر على جيشٍ آخر ، وبعث بمراكب لتقيم في السواحل الشامية . فاستمال . أعداؤهُ قائدهُ أبا عبد الله الواسطي ، فواطأهم على مأربهم اذ كان يخاف ان يوقع بهِ خمارويه لانهُ كان هو المشير عليهِ بقتل أخيهِ العباس . وانضمَّ اليهم أيضاً ابن الموفَّق أبو العباس من بغداد ، وساروا فاتحين في البلاد حتى دخلوا دمشق . واتصل ذلك بخمارويه فخرج من مصر الى فلسطين بسبعين الف مقاتل ، والتقى بابن الموفق ، فاقتتلا في « الطواحين » ودارت الدوائر على جيش خمارويه ، ونجا هو بنفسهِ وبنفرٍ من جندهِ الى الفسطاط

اما سعد الاعسر فظلَّ موالياً لخمارويه وجمع ما تبقَّى من عساكرهِ ، وحارب ابنَ الموفَّق ، فكانت لهُ الغلبة ، واجلى الاعداء الى طرسوس . ثمَّ عاد الى دمشق فتقفها وارسل

(١) من تاريخ مصر بقلم السيدة عبد عون

بشائر النصر الى مصر . ولم يكد يفرح خمارويه بها حتى زلزلت ارض مصر زلزالاً هائلاً هدم بيوتاً كثيرة وأمات ١٠٠٠ نفس ، على انهُ ظنَّ منهمكاً في شؤونهِ الخاصة ، واغفل امر البلاد التي اعادها لهُ قائدهُ الباسل . ولما رأى سعدُ الأعسر إعراضَ سيدهِ واهمالهُ ، كرهَ ان يظلَّ في خدمتهِ . فخرج عن طاعتهِ ، واعلن استقلالهُ بولاية الشام ، فكان عملهُ هذا داعيةً لايقاظ خمارويهِ من خمولهِ ، فزحف الى الشام وهزم سعداً وقتلهُ ، ودخل دمشق سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) . وواصل السير حتى التقى بابن كُنداج ، صاحب الموصل ، فهزمهُ وتبعهُ حتى مدينة سامرَّا ثم اصطلحا . فاستقرَّ لخمارويهِ بعد ذلك الامرُ في مصر والشام . وعقد الصلح مع الموفَّق . ووقَّع لهُ الخليفة وليُّ عهدهِ امراً بتثبيتهِ في إمارتهِ

ولما وثق من نفسهِ ، وقدر قوتهُ حقَّ قدرها ، رأى من الحكمة ان لا يأمن جانب حليفيهِ ابن ابي ساج ، حاكم الانبار ، وابن كُنداج ، حاكم الموصل ، فانتهز فرصة خلاف بينهما للتدخل في شؤونهما ، فشبَّت من جرَّاء ذلك حربٌ في ما بين النهرين كانت عاقبتها شؤماً على المتقاتلين وصفقةً رابحةً لخمارويهِ ، فنشر سلطتهُ على تلك البلاد ، واعترف لهُ اهلوها بالسيادة عليهم . ثم خرج عليهِ ابن ابي ساج في سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٨ م) واجتاحَ البلادَ السورية . فمشى اليهِ خمارويه بجيشٍ قويٍّ ، وقاتلهُ في جوار دمشق ، فهزمهُ وأجلاهُ عن سورية . وما زال يطاردهُ حتى دجلة حيث بنى عرشاً فخماً عنواناً لفوزهِ وسلطانهِ . ثم شبَّت فتنٌ في تلك الاصقاع اضطرَّت خمارويه الى قضاء سنةٍ أخرى في إخمادها ، واظهرَ من الشدَّة والبطش ما انزل الرُّعبَ في نفوس اعدائهِ . حتى انَّ حاكم طرسوس الذي كان قد نبذ طاعة الطولونيين منذ ٢٦٩ هـ (٨٨٣ م) عرض خضوعهُ على خمارويهِ ، واعترف لهُ بالسيادة ، واهدى اليهِ ثلاثين الف دينار ، والف ثوبٍ ، وكمية كبرى من الاسلحة . ثم عاد فأردفَ هديتهُ هذه بخمسين الف دينار اخرى . وغزا خمارويهِ ما جاورهُ من الاملاك الرومانية فدوَّخها جميعها

ومات الموفق سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١ م) وعقبهُ موت ابن كنداج ، ثم موت الخليفة المعتمد . ولما آلت الخلافة الى المُعتضِد سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ثبَّتَ خمارويهِ في مصر وخطبَ ابنتهُ قطرَ الندى وجعل مهرها مليون درهم ، وبعث اليها بهدايا نفيسة . ولما احتفل بزفافها الى الخليفة ، حملت على هودج فاخر ، وحمل معها مالم يُرَ مثلها ولم يسمع بهِ من قبل . وكان خمارويهِ قد بنى لها على كل رأس مرحلة تنزل بها ، بين مصر وبغداد ، قصراً فخماً ، وأخرج معها اخاهُ شيبانَ في جماعة كثيرة العدد ، فكانوا يسيرون بها سيرَ الطفل في المهد ،

فاذا بلغت مرحلةً من مراحل الطريق وجدت قصراً أُعدَّ لها ، فنزلتهُ على الرحب والسعة . فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد ، على بُعد الشقة كأنها في قصر ابيها تنتقل ، من مجلس الى مجلس ، بين الاطالس والحرير . وحمل خمارويه معها حلاها وجواهرها في عشرة صناديق كبيرة كان فيها ايضاً اربعة آلاف حزام مجوهر والف اناء من الذهب الابريز أُودعت فيها الروائح الزكية وقد كان جملة ما انفقهُ خمارويه على زواج ابنتهِ مليون دينار . ولكنَّ الخليفة شاء ان يعيضهُ منها فاعادَ اليهِ السيادة من الفرات الى برقة ، واخفض الجزية السنوية التي كانت تدفعها مصر للخلافة الى ٣٠٠,٠٠٠ دينار

ومما يؤثر عن خمارويه ان رواتب جيوشهِ في مصر كانت تبلغ ٩٠٠,٠٠٠ دينار . وكان كثير البذخ والسرف ، تقيل انهُ كان ينفق ٢٣,٠٠٠ دينار على مطبخ قصرهِ في كل شهر . وولع كأبيهِ بتشييد القصور ، فأُكمل بناء قصر القطائع وزخرفهُ زخرفة جميلة ، وحلاَّهُ بالذهب ، وزانهُ بالصور والنقوش وانشأ في ساحتهِ بستاناً غرسهُ باشجار الفاكهة على اختلاف اصنافها ، وطعَّم المشمش باللوز ، وغيرهُ بغيرهِ . وزرع فيهِ كل انواع الرياحين والورد والزعفران على شكل سطور مكتوبة . وبقي في ذلك البستان برجاً حبس فيهِ كل طائر حسن الشكل والصوت وانشأ داراً للحيوانات المختلفة الاجناس . وكان لهُ اسد أزرق العينين يُقال لهُ « زُربق » الفهُ وانس بهِ فكان يطلقهُ في دارهِ فلا يؤذي احداً . وكان اذا نُصبت المائدة في قاعة الاكل ربض زربق بين يدي خمارويه يلتهم ما يرميهِ اليهِ . واذا نام سيدهُ سهر على حراستهِ لا تغمض لهُ عين . ومما اعتنى بهِ خمارويه كثيراً احراز الخيول الجياد ، وقد خصص لسباقها ايامًا قامت في البلاد مقام الاعياد

ولما كان خمارويه في دمشق سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٦ م) قتلهُ بعض خدمهِ غيلةً في فراشهِ . فنقلت جثتهُ الى مصر ، ودفن في سفح المقطم ، الى جانب جثة ابيهِ احمد بن طولون . أما قتلتهُ فصُلبوا على قوارع الطرق

وخلف خمارويه ابنهُ جيش ابو العساكر وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ ، ولا يدرك معنى الحكم ولا يفقه اهمية الولاية ، فانصرف عن الاهتمام بشؤون البلاد الى اللهو واللعب ، فاغتنم ابو طَجَج بن جُف حاكم سورية هذه الفرصة للخروج عن طاعتهِ واقتدى بهِ غيرهُ من عمَّال الولايات التابعة لمصر فنبذوا حكم ذلك الصبي . وكان الاسراف الذي اقتضاهُ انغماسهُ في الملاهي افرغ خزينة البلاد ، فثار عليهِ الجند وخلعوهُ وتوفي في السجن على اثر خلعهِ وكان هو من قبل ذلك قد اوجس شرًّا من اعمامهِ واغتال ثلاثة منهم

باب الصناعة

نسج القطن في مصر

سيدي المفضال محرّر « المقتطف »

اتذكر اني اطلعتُ في احد اعداد « المقتطف » التي صدرت في هذه السنة على وعدٍ منكم بالكلام التفصيلي على كيفية تنفيذ فكرة « نسج القطن في مصر » مبشّرين القراء بانهُ غير مستحيل تحقيق الفكرة ، وانّ في تحقيقها خيراً عظيماً للقطر . هذا ما علق بذهني واكاد اكون شبه متأكد من اطلاعي عليهِ في مجلتكم الغراء . ولولا ذلك لما بتُّ اترقب كل عدد من « المقتطف » بفارغ الصبر آملاً ان يكون فيهِ ما وعدتم بهِ . غير ان طول انتظاري جعل الملل يتسرّب الى نفسي فاحببتُ ان اكتب لكم مذكّرًا ومستفهماً . واستصوبتُ قبل ان ابدأ بالكتابة أن أُراجع ما عندي من اعداد المقتطف وهي تُربي على اثني عشر عدداً فادهشني اني لم اجد فيها اثر لهذا الوعد الذي انسبهُ اليكم كما يشترك في نسبتهِ غيري من اصحابي الذين اطّلعوا عليهِ في حينهِ

ولستُ ادري بعد هذا اذا كنت أنسب لكم ما لا أصل لهُ . او انّ ذاكرتي تمثّل لها البعيدُ قريباً بمعنى انكم ذكرتم هذا الوعد منذ اكثر من سنة او سنتين وقمتم بوفائهِ في عدد لم اطلع عليهِ . وعلى كل حال اكون مديناً لكم اذا تفضلتم بارشادي الى الحقيقة . راجياً ان لا تخرج هذه الحقيقة عن احد شيئين وهما : اما انكم حقيقةً ذكرتم هذا الوعد وقد قمتم فعلاً بوفائهِ . واما انكم لم تنجزوهُ حتى الآن لكثرة مشاغلكم ولكنكم عازمون على ذلك قريباً

وكيفما كان الواقع فمثل مجلة « المقتطف » حرية بالمطالبة بطرق باب هذا البحث الاقتصادي العظيم . وبعدم اغفال امثالهِ من المباحث النافعة التي يمكن بواسطتها تنمية ثروة الامة واعدادها للاستقلال المالي سواء كانت تلك المباحث زراعية او صناعية او تجارية كما انها خليقة بان لا ينوتها البحث العملي اكثر من البحث النظري وان تكون قائدة المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين في الامة . فلا تكتفي بتقديم الاقتراحات بل تعمل على شرحها شرحاً عملياً وافياً وتتوسع في ذلك كل التوسع حتى تفتل الهمم الضعيفة وتشجع الغيورين على

الاقدام على انفاذ المشروعات النافعة الكبيرة ما داموا يرون امامهم في « المقتطف » نوراً قوياً واساساً عملياً جديراً بالاعتماد عليه والثقة بقوته وامانته

والشيء بالشيء يذكر لعلكم سمعتم عن مشروع « الغرفة التجارية المصرية » واطلعتم على ما كتبته بعض الصحف الاوربية بهذه المناسبة عن مستقبل مصر الاقتصادي . فلعلكم لا تحرمونا من كلام مستفيض في فوائد الغرف التجارية وان لا تبخلوا بشيء من نصائحكم الشديدة في هذا الموضوع . وان تبينوا خلاصة احسن نظام وبرنامج للغرف التجارية الراقية لينتفع بذلك القائمون باصلاح حالة التجارة الوطنية المصرية كما ينتفع كثيرون من محبي الاستفادة

لا يخفى عليكم ان مجلتكم غير قاصرة على طبقة الخاصة وان طلبة العلم واهل الحرف الحرة من مشتركيكم يهمهم جداً ان يطلعوا على بياناتكم في كل موضوع جليل يدخل في دائرة مجلتكم لا بصورة تنبيه بل بصورة شرح وتدريس

هناك غير مشروع « الغرف التجارية » مشروع « النقابات الزراعية » ومشروع « النقابات الصناعية » على انواعها . ومشروع « مصرف وطني » وغير ذلك . وكلها تحتاج الى عناية كبرى منكم وبحث مستفيض حتى ينتفع الفرد العادي بالفائدة من كل ذلك . ولا أدلّ على تلك الفائدة من ان تبينوا تاريخ هذه الاعمال في الامم الراقية وما نشأ عنها من النعمة والثروة لها ببيانات وارقام مضبوطة . وان تطلقوا على ذلك آراءكم ونصائحكم . وغرضي من كل هذا ان تأخذ مجلة « المقتطف » وظيفة المعلّم العملي بكل معنى الكلمة . (وهي ما لم توفها الحق الذي يليق بها للآن) بجانب وظيفة المعلم النظري التي لا شائبة من ان « المقتطف » قد وفّاها اكثر من حقها

ثم اسمح لي يا سيدي ان الاحظ ان القسم الزراعي والصناعي في مجلتكم ضئيل بالنسبة للقسم العلمي . واني لا انكر ان لكم اعذاراً وجيهة في ذلك ولكن تثقني باقتداركم وتقديري لخدم العظيمة التي يقوم بها المقتطف يدفعني ان اقول انهُ آن لكم ان تحاولوا لاجل المصلحة العامة توسيع القسم الزراعي والصناعي وترقية تحريره ولكم الحق الكامل بما للمقتطف من الايادي على الامة المصرية ان تطالبوا الحكومة علناً بمساعدة مالية في سبيل ذلك . وان تطالبوا متعلمي الامة بفتح اكتتاب لهذا السبيل . ولا اقصد بهذا تبرعاً من الناس بلا مقابل (ولو حدث ذلك لما كان فيهِ مؤاخذة لان المقتطف اصبح اثراً تاريخياً في الامة ويجب صونهُ واجلالهُ . كما انهُ اصبح قوة من اعظم القوى الاصلاحية فيها ولذلك يجب العناية بتعهدها وتهذيبها وتنميتها) بل اقصد الاكتتاب على سبيل الاشتراك . والقيمة التي تُدفع في المقتطف

لا تساوي عُشر فوائدهِ ولذلك اعدّ من الخطل استعمالي لفظة « اكتتاب » في هذا المعنى

هذا موضوعٌ فرعي جنحتُ اليهِ لرغبتي في ان يزداد نفع « المقتطف » وان يكون قوة فعّالة في الامة . وحبذا لو عُنيتم بذكر ما ترونهُ اصلح من الوسائل التي تؤدي الى تكبير حجمهِ وزيادة عدد مباحثهِ وتوسيع نطاق ابوابهِ الحالية . ليكون منهُ النفع المرغوب فيهِ . ثم اعود للموضوع الاصلي فارجو ان يحوز سؤالي قبولكم . واذا لم ينل هذا القبول فلعمري لستُ ادري أية صحيفة في مصر اقدر من « المقتطف » على درس علل الامة الاقتصادية . وشرح وسائل الاصلاح وقيادة الرأي العام المصري نحو الاستقلال المالي

لندن مصري

[المقتطف] تشكركم على حسن ظنكم بالمقتطف وقدرهِ هذا القدر واذا جرى كل اخوانكم طلبة العلم في اوربا مجراكم في الاهتمام بمصالح القطر المصري الحقيقية دون سواها لم تمر عليهِ عشر سنوات او عشرون سنة حتى ينال اكثر ما يبتغيهِ من الرقي الصحيح . ولو اطلعتم على الاثنين والاربعين مجلداً التي صدرت من المقتطف الى الآن لوجدتم اننا لم نترك باباً من الابواب التي اشرتم اليها الاَّ ولجناهُ غير مرة وتكلمنا فيهِ بالاسهاب تارةً بالحث والترغيب وطوراً بنشر الفصول المتوالية في كل ابواب الزراعة والصناعة حتى لقد انتطف احد اصدقائنا من المقتطف كتاباً كبيراً في الصناعة طبعهُ ونشرهُ واكثر ما فيهِ منقول عن المجلدات العشر الاولى . ولو جمعت للفصول الزراعية التي نشرناها لملأت بضعة مجلدات وكثير منها ومن الفصول الصناعية تملي مبني على ما عملناهُ او جربناهُ بيدنا . وهاكم فصلاً مداره الترغيب في الصناعة نشرناهُ منذ ٢٤ سنة

« افتتحنا السنة الثانية عشرة بمقالة موضوعها " مدارس الزراعة ومجامعها " شرحنا فيها احوال تلك المدارس في اوربا واميركا وما جناهُ الاوربيون والاميركيون من تفهها عسى ان نغري بعض القراء الكرام بالاقتداء بهم . واننا مستفتحون هذه السنة الرابعة عشرة بشرح وجيز لمصادر الصناعة ومواردها وتسابق الممالك في مضمارها عسى ان نغري اهل الوطن باقتفاء آثارهم فان التمثل بالكرام فلاحٌ . والحقائق حريةٌ بالذكر ولا بدَّ لها من نفع عاجل او آجل ولذلك لا نضنُّ على المقتطف بحقيقة نطّلع عليها آملين ان نجد بين الالوف من قرّائهِ من يصيخ اليها سمعاً فينتفع بها وينفع غيرهُ

« من يجُل في اسواق المشرق ويتفحص البضائع التي فيها يجد اكثرها وارداً من اوربا واميركا . وما صُنع منها في المشرق من مثل المراجل النحاسية والادوات الحديدية قد جلبت

موادهُ من أوربا ايضاً مسبوكةً مهيأةً . والحال الحاضرة طرأت على البلاد من عهدٍ غير بعيد فقد عاش اجدادنا ولم يروا شيئاً من بضائع اوربا وعاش اجدادهم واسواق اوربا غاصةٌ بمصنوعاتهم والدهر في الناس قُلَّب

« ومن يلتفت الى اهتمام الاوربيين بالصناعة واناطة خدمتها برجال السياسة ورجال العلم وبذلهم النفس والنفيس في سبيل اتقانها وتوسيع نطاقها وترخيص ثمن المصنوعات وتسابقهم الى عرضها على تجار المشرق واميالهم اياهم بالثمن اشهراً بل سنين واهتمام الدول نفسها بامر الصناعة والتجارة حتى كأنها لم توجد الاَّ لترويج بضائع رعاياها ثم يلتفت الى اهمالنا نحن واحتقارنا للصناعة والصنَّاع وابتعادنا عن كل ما يأول الى اتقانها واتساع نطاقها وارتباطنا مع دول اوربا بمعاهدات دولية تقضي علينا بترويج بضائعهم وتكسيد بضائعنا — من يلتفت الى ذلك كلهِ يحكم انهُ قد قُضي علينا باهمال الصناعة ابد الدهر وانها لن تقوم لها قائمة عندنا. ولكنَّ التسرُّع في الحكم اقرب الى الخطإ منهُ الى الصواب فهلمَّ بنا ايها الباحث ننظر في تاريخ الصناعة الحديث عسانا ان نهتدي الى ما ينبئنا بمستقبلها في بلادنا

« اقبل القرن التاسع عشر وممكنة فرنسا تازفة الدماء باثرة الصناعة وايطاليا والمانيا خائرتا القوى مقطَّعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبهِ المتوالية وليس في اوربا كلها الاَّ بريطانيا العظمى ملكة البحار مستمرَّة في جزائرها مستغنيةً بهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبَّار لم ترَ مثلهُ العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة (اي من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٧٨) زاد الفحم الحجري المستخرج سنوياً من مناجمها من ١٠ ملايين طن الى ٣٨٠ مليون طن وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومُدَّ فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حدّاً لم تبلغهُ ثروة أمةٍ أخرى قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثني عشر مليوناً من الجنيهات . ولكنَّ ضعفت فرنسا لم يكن ليميتها و بلادها من اخصب البلدان وشعبها من اشد الشعوب نشاطاً واكثرهم اقداماً فالتأمت جراحها حالاً وتناظر عمَّالها الى مدائنها فهبَّت صناعتها بعد سباتها وتناظرت الانكليز في مصنوعات كثيرة . والآن تُقدَّر المصنوعات الصادرة من بلادها بقيمة نصف المصنوعات الصادرة من بلاد الانكليز. واقتفت المانيا خطواتها ولاسيما بعد الحرب الاخيرة وعزَّزت الصناعة بالعلوم الطبيعية والكيماوية والهندسية وهي ممتازة بها على غيرها من الممالك فاستغنت عن مصنوعات الانكليز بل صارت مناظرةً لهم في اسواق المشرق لان معاملها ابتدأت حيث انتهت معامل منشستر وليفربول بعد اختبار مئة عام. والآن دخلت روسيا في ميدان الصناعة

على جواد لا يعرف العثار وابتدأت في صناعتها حيث انتهت انكلترا والمانيا اي انها استخدمت احدث الآلات والادوات واكثرها اتقاناً . وفي عزمها ان تستغني عن بضائع انكلترا والمانيا وتكتفي بمصنوعات بلادها . واتحدت بها النمسا والمجر وايطاليا واسبانيا والهند والبرازيل والمكسيك . وكل هذه الممالك قد نهضت في هذه الايام ورحبت بالصناعة واحلتها محل الكرام . وسبقتها الى ذلك الولايات المتحدة الاميركية فناظرت بمصنوعاتها ممالك اوربا كلها . وهاك تفصيل ذلك مبتدئين من مملكة الروس لانهُ كان يظن انها بلاد زراعية محضة لا يرتجى تقدم الصناعة فيها

« كان في بلاد روسيا الوسيعة وفي بولندا التابعة لها سنة ١٨٦١ نحو اربعة عشر الف معمل بين صغير وكبير وقيمة ما يصنع فيها في السنة ٢٩٦ مليون روبل فصار عدد المعامل بعد عشرين سنة ٣٥١٦٠ معملاً وقيمة ما تصنعهُ في السنة ١٣٠٥ ملايين روبل . ولم يزد عدد الصناع منذ سنة ١٨٧٩ الى الآن زيادة تذكر ولكن مصنوعاتهم تضاعف مقدارها وهذا يدلُّك على اتقانهم للصناعة واستخدامهم احسن الآلات والاساليب الصناعية . هذا في المعامل الكبيرة واما المعامل الصغيرة المتعلقة بالزراعة فحدِّث عنها ولا حرج لانها انتشرت في كل البلاد وصار عدد المشتغلين بها سبعة ملايين فاكثر وقيمة مصنوعاتهم في السنة اكثر من مئة وثمانين مليوناً من الجنيهات . وحول موسكو وحدها من الحاكة الصغار ما يبلغ ثمن منسوجاتهم اربعة ملايين جنيه ونصف مليون في السنة . وحتى الآن لم تصر روسيا في غنى تام عن بضائع الانكليز والالمانيين ولكن احتياجها اليهم يقلُّ سنة بعد اخرى فقد كانت قيمة الوارد اليها من البضائع الانكليزية سنة ١٨٧٢ نحو ١٦ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات فهبطت سنة ١٨٨٤ الى ١٣ مليوناً ونصف مليون . والسبب الاكبر لتقدُّم الصناعة في روسيا انها وضعت مكوساً فاحشة على البضائع الاجنبية فاضطرَّ اصحاب المعامل الكبيرة من الانكليز والالمانيين ان يتركوا بلادهم ويأتوا بلادها ويشئوا المعامل فيها تخلُّصاً من المكوس فتقدمت صناعة البلاد وقلَّ طلبها للبضائع الاجنبية . ويقال انهُ لو زالت الآن المكوس الفادحة واطلقت حرية التجارة ما كان ذلك ليضعف صناعة روسيا اذ قد رسخت قدمها في البلاد ومواردها كثيرة فيها وابواب الرزق واسعة والاجور رخيصة لانها بلاد زراعية ولا ترخص الاجور الاَّ اذا كثر الطعام في البلاد ولا يشبع الفلاح الاَّ من خير ارضهِ . ويقال انهُ اذا زاد المشتغلون بالصناعة ثلاثة اضعاف فالبقية كافية لزراعة البلاد

« وبلاد المانيا دخلت ميدان الصناعة منذ عهد حديث ولكنها تأهَّبت لهُ بالعلوم

والمعارف فغازت بالسبق في بروسة وجيزة فانهُ لم يكن يرد الى بلادها منذ خمس وعشرين سنة سوى ٨٣٠٠ طن من القطن ولم يكن يصدر منها سوى ٨٣٠ طنًا من النسج القطنية فبلغ الوارد اليها سنة ١٨٨٤ مئة وثمانين الف طن من القطن والصادر منها ٢٥ الف طن من النسج القطنية و ٢ الف طن من النسج الصوفية . وكان عدد مغازل الكتان في اوربا سنة ١٨٨٤ مليونين وسبع مئة الف وفي المانيا وحدها ثلثمئة الف مغزل وفيها الآن ٨٧ الف نول لنسج الحرير وقيمة منسوجاتها الحريرية تسعة ملايين جنيه في السنة ولا يفوتها في هذه الصناعة الاَّ فرنسا . وقد انتشرت بضائع المانيا في الدنيا وناظرت بضائع انكلترا في كل الاسواق ولاسيما لانها ارخص من البضائع الانكليزية وناظرت بضائع فرنسا في اسواق فرنسا نفسها

« اما فرنسا فقد ملكت زمام تربية القز ونسج الحرير واشتهرت مدينة ليون بحل الحرير وصبغهِ ونسجهِ ثم ضُرب دودها بالضربة المعروفة فاضطرَّت ان تجلب الحرير المحلول من ايطاليا واسبانيا والنمسا وبر الاناضول وبر الشام وبلاد اليابان وكان الحرير الوارد اليها سنة ١٨٧٦ نحو احد عشر مليونًا من الارطال (المصرية) نسج كلهُ في مدينة ليون وما جاورها فاغنى الصناع بنسجهِ ولكن لم تكن هذه الصناعة لتنحصر في ليون ولا في فرنسا فانشئت لها معامل كثيرة في المانيا وسويسرا وايطاليا وبعد ان كانت قيمة الصادر من منسوجات ليون ٤٦٠ مليونًا من الفرنكات صارت ٢٣٣ مليونًا . ويقال ان نصف المنسوجات الحريرية التي تستعمل الآن في فرنسا تُجلَب اليها من الخارج من ايطاليا وسويسرا ونحوها بل ان روسيا نفسها لكاد تستغني عن منسوجات فرنسا الحريرية لان معامل بلاد القوقاس تنسج حريرًا يفوق في رخصهِ حرير فرنسا وقد اشتدَّ الضيق على الحاكة في مدينة ليون سنة ١٨٨٤ حتى كادوا يموتون جوعًا لو لم تطعمهم الحامية من جرايتها

« وقد كانت قيمة واردات فرنسا سنة ١٨٨٦ نحو ٢٠٥ ملايين جنيه وقيمة صادراتها نحو ١٧٠ مليون جنيه وزيادة الوارد على الصادر دليل قاطع على انحطاط صناعة فرنسا عمَّا كانت عليهِ

« والصناعة في النمسا والمجر حديثة العهد ولكنها قد نجحت نجاحًا عظيمًا فبلغ مقدار مصنوعاتها سنويًّا مئة مليون جنيه .وكل الآلات والادوات التي فيها من احدث ما اخترع واستُنبط الى عهدنا هذا والمعامل مضاءة بالنور الكهربائي . ومن ادلة تقدمها ان واردات البلاد بلغت منذ سنتين نحو ٥٤ مليون جنيه وصادراتها نحو ٩٧ مليون جنيه

« وايطاليا لم تحجم عن ميدان الصناعة بل ازجت جوادها بعزيمة الايطالي ومن اول اغراض رجالها ان تستقل بنفسها عن كل الممالك وتسترجع مجدها الاول . ومما يدل على تقدم الصناعة فيها في السنين الاخيرة انها استوردت من الفحم الحجري سنة ١٨٧١ الفل من ٧٨٠ الف طن وسنة ١٨٨٤ اكثر من مليونين وتسع مئة الف طن . وزادت المعادن المستخرجة من مناجمها في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف وصنعت من الفولاذ والآلات الحديدية ما ثمنهُ ثلاثة ملايين جنيه وكان الوارد اليها من القطن الشعر سنة ١٨٨٠ نحو ٢٩٠ الف قنطار فبلغ سنة ١٨٨٥ نحو ٦٠٠ الف قنطار وكان فيها مليون مغزل سنة ١٨٧٧ فبلغ عدد مغازلها سنة ١٨٨٥ مليوناً وثماني مئة الف

« وبرازيل البعيدة عن مركز التمدن كان المظنون عند علماء الاقتصاد انها ستبقى ابد الدهر مثل مصر تزرع القطن وتبعث بهِ الى اوربا وتجلب المنسوجات منها . ومنذ عشرين سنة كان فيها ثلاثة معامل صغيرة فيها ٣٨٥ مغزلاً اما الآن فقد صارت معاملها ٤٦ معملاً وفي خمسة من هذه المعامل اربعون الف مغزل . وينسج فيها كل سنة ثلاثة وثلاثون مليون يرد من المنسوجات القطنية

« ولندع بلاد المغرب عند هذا الحد لئلاَّ ندخل الولايات المتحدة بلاد الغرائب ولنتقل راجعين الى المشرق الى بلاد الهند التي كان الانكليز يعتمدون عليها في تجارتهم ولاسيما في بيع منسوجاتهم القطنية فانها كانت تبتاع منهم في السنة باكثر من عشرين مليون جنيه اما الآن فقد انشأت المعامل لنفسها ووسعتها فنسجت سنة ١٨٦٦ نحو ٢٣ مليون رطل من القطن الشعر ثم زاد ذلك رويداً رويداً حتى بلغ ما نسجتهُ سنة ١٨٨٦ مئة واربعة وثمانين مليون رطل وكان فيها اولاً نحو ٨٨٦ الف مغزل فصار فيها اكثر من مليونين وسبعة وثلاثين الف مغزل وكان فيها ٨٥٣٧ نولاً فصار فيها ٦١٥٩٦ نولاً . ولا مانع يمنعها عن مزاحمة كل ممالك اوربا في اسواق الدنيا الاَّ قلة راس المال فيها وقلة انتشار المعارف ولكن اغنياء الارض يرسلون اموالهم حيث تربح الارباح الطائلة والعلم لا وطن لهُ فينتشر في كل مكان تُعدّ لهُ فيهِ الوسائط واهل الهند من الحذق الطبيعي في الصناعة على جانب عظيم كما تشهد مصنوعاتهم كلها

« وسيرى ابناؤنا مخازن الهنود والبضائع الهندية منبثّة في اسواق مصر والشام ان لم يتنبه القطران من غفلتهما . نعم ان الزراعة قسمة القطر المصري ونعم القسمة ولولاها ما عاش فلاَّحهُ ولا استطاعت البلاد ان تقوم بحمل الدَّين الذي عليها ولكنَّ الصناعة يجب ان

لا تموت فيهِ لاسيما وان نروعاً كثيرة منها يمكن ان تنجح فيهِ وتغنيهُ عن غيرهِ . واما القطر السوري فالحديد والفحم الحجري كثيران فيهِ وهما عماد الصناعة وكذلك الحرير والزيت والمقاتير الطبية وفيهِ خلفاء الفينيقيين الذين غصَّت اسواق المسكونة بمصنوعاتهم واخترقت سفائنهم البحار الشاسعة وانهال المال عليهم انهيال السيل . ولو كان امر الارض في غفلة كما كانوا في العصور السالفة لهان علينا ان نسابق صنَّاعهم وتجَّارهم اما وقد جعلوا اتقان الصناعة وتوسيع التجارة غرضهم الاول الذي يحشدون لهُ الجنود ويبثون لهُ البوارج فلن نجاريهم الاَّ اذا جعلت الحكومة ذلك غرضها الاول وسعت اليهِ باسبابهِ وشأنها في ذلك شأن كل رجل حكيم يدفق مئة ليربح الفاً

« هذا ويحق للمقتطف ان يقف وقفة من خبر حال البلاد وعرف مطالبها مدة اربع عشرة سنة وقامم صنَّاعها البحث والتنقيب عن اسالب الصناعة ومكنوناتها ويشهد ان في البلاد عقولاً ذكية وهممًا عليَّة وايادي لا تعجز عن عمل وصبراً لا يعرف الملل . ولكنَّ الجواد يكبو حيث تكثر المعاثر والصارم ينبو عن دلاص المغافر . وقد علمت ان صنَّاع اوربا واميركا وهم ارباب الصناعة وولاة امرها يستجدون بحكوماتهم على تذليل الصعاب ورفع ما يحول دون ترويج بضائعهم من العقاب ولو بغزو الممالك واقتحام المهالك فلن نجاريهم بل لن نعيش في جوارهم ما لم نهبَّ جميع عناصر الوطن وتواصل السهر بعين لا تعرف الوسن

وكيف تنام الطيرُ في وكناتها وقد نُصبت للفرقدين الحبائلُ

« وقد اخبرنا حضرة ناظر المعارف العمومية صاحب السعادة علي باشا مبارك انهُ اعدَّ المعدَّات لمدرسة صناعية في مدينة المنصورة وفي نيتهِ ان يجعلها مقدمة لمدارس اخرى تنشأ على شاكلتها فحمدنا الخبر ورجونا عود الصناعة الى هذا القطر والعود احمد . ولكنَّ ذلك لا يسدُّ كل حاجة البلاد بل لا بدَّ من تسهيل السبل ايضاً لاصحاب الاموال حتى ينشئوا المعامل كما أُنشئ معمل تكرير السكَّر في مصر ومعمل الورق في سورية فان العمل من هذه المعامل يقوم بالوف من العملة العاملين فيهِ مباشرةً كالعمال انفسهم او غير مباشرة كجالبي المواد الاصلية وناقلي المصنوعات وبائعيها . واننا لعلى ثقة ان اولياء امورنا يأخذون بيد كل من يسعى في ادخال الصناعة الى البلاد فلا يحجمنَّ احدٌ عن هذا المسعى المشكور ولا يتوقعنَّ الاَّ النجاح باذن الله وهو على كل شيء قدير » انتهى

هذا ما كتبناهُ منذ اربع وعشرين سنة . اما صناعة غزل القطن ونسجهِ فغير ممنوعة في القطر

المصري الآن ولكنها متيدة اذا كانت في معامل كبيرة بدفع رسم يساوي رسم الجمرك على المغزولات والمنسوجات الواردة من الخارج لسبب سياسي لا محل للبحث فيهِ في المقتطف . ولكن لو زال هذا القيد اكنا نشير بانشاء المعامل الكبيرة لغزل القطن ونسجهِ : هذه مسألة فيها نظر . ونقول من باب تجاري انهُ لو رُفع هذا القيد وانشأ احد الوطنيين او غيرهم معملاً للغزل والنسج في مصر وجعل رأس مالهِ اسهماً وعرضها للبيع لم تشترِ سهماً منها لعلمنا ان الغرش من رأس المال لا يصفي نصف غرش والمرجح انهُ لا يربح شيئاً . واسباب ذلك كثيرة بعضها كان معروفاً من قبلُ وبعضها لم يكن معروفاً . فمن الاسباب المعروفة اولاً ان القطن المصري غالي الثمن فلا تصنع منهُ الاَّ المصنوعات الغالية وهذه لا سوق لها في القطر المصري ولا يحتمل انهُ يستعمل منها فيهِ في السنة ما ثمنهُ مئتا الف جنيه نصفها مصانعة ونصفها ثمن قطن فكل ما يستعمل فيها من القطن المصري عشرون الف قنطار وهي ليست شيئاً مذكوراً في بلاد يزيد موسمها او ينقص مليون قنطار في السنة الواحدة

ثانياً اذا كثرت المعامل وكثرت منسوجاتها يتعذر علينا ان نناظر منسوجات انكلترا في اسواق الهند مثلاً او في اسواق اوربا واميركا لان ليس عندنا سفن تجارية لنقل بضائعنا . ونقلها بالسفن الاوربية يكلفنا اكثر مما يكلف الانكليز نقل بضائعهم فتعود منسوجاتنا علينا بالخسارة

ثالثاً ان انشاء المعامل الكبيرة يقتضي رأس مال كبيراً ولا بدَّ من جلب رأس المال من اوربا واما ان نستدينهُ نحن ونستعملهُ او يقدمهُ الاوربيون ويتاعون اسهم المعامل بهِ فاذا جاءت هذه المعامل بربح لا بخسارة فربحها للذين قدَّموا رأس المال

رابعاً ان اربح معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا لا يزيد ربحهُ لاصحاب رأس المال على ستة في المئة ونحن اذا استدنا المال لانشاء هذه المعامل وبلغ ربحها اعظم ما يبلغهُ في اوربا واميركا بعد دفع ضريبة الجمرك لم يزد على الربا الذي ندفعهُ للذين نستدين منهم المال هذا اذا ربحنا شيئاً

خامساً انهُ يستحيل ادارة المعامل من غير قوة مائية او بخارية والقوتان معدومتان في القطر المصري حيث يحتمل اقامة معامل الغزل والنسج . وجلب الفحم الحجري من اوربا يذهب باكثر الربح

سادساً ان العمال الذين يعملون في المعامل لا يكتسبون منها الاَّ القوت الضروري والغالب ان اصحاب المعامل يقيمون لهم دكاكين الى جانب المعامل فيها مواد الطعام والشراب

واللباس فالذي يأخذهُ العامل من المعمل اجرة يعطيهِ لاصحاب هذه الدكاكين فيعيش ليعمل ويعمل ليعيش من يدهِ الى فمهِ . وعمّال المعامل اسوأ الناس حالاً لان الواحد منهم لا يتقن الاَّ فرعاً واحداً من العمل فلا يستطيع ان يستقل بهِ كالعامل الصغير الذي يعمل في بيتهِ او دكانهِ

هذه الامور او العقبات كنا نعلمها قبلاً فلا نشجع على انشاء معامل الغزل والنسج الاَّ لتربيح فرق الجرك ثم ظهرت عقبة اخرى كوجود كان لها اليد الطولى في ابطال معمل الغزل والنسج الذي انشئ في القاهرة فوق ضريبة الجرك وهي جفاف الهواء وتولد الكهربائية بكثرة بين الياف القطن فيدفع بعضها بعضاً لانها مكهربة من نوع واحد وتتطاير في المعمل فتغل ايادي العمال وتسد انفاسهم فاضطرَّ مديرو المعمل ان يطلقوا البخار فيهِ دواماً لترطيب هوائهِ وتقليل تولد الكهربائية فيهِ فلم يفلحوا على ما بلغنا واخيراً افلس المعمل وخسر المشتركون فيهِ اموالهم ونحن منهم

ولا نتذكر اننا كتبنا شيئاً في المقتطف عن زوال القيد المشار اليهِ آنفاً ولا نحن من المستحسنين لهُ ولا هو بالشيء الوحيد في روابط القطر المصري السياسية التي لا نستحسنها بل نود انحلالها عاجلاً او آجلاً

اما غزل القطن ونسجهُ في المعامل الصغيرة كما في المحلة الكبرى فلا قيد عليهِ وهو صناعة قديمة في القطر المصري ويجب ان تنشَّط بكل واسطة ممكنة هي ونسج الصوف والحرير وكل الصنائع البيتية او التي يعملها عمّال مستقلون وتحتاج البلاد اليها وتغنيها عن المصنوعات الاجنبية واذا زاد منها شيء وارسل الى البلاد المجاورة كسورية والسودان فيها ونعمت . ويظهر لنا ان البلاد سائرة في هذا السبيل ولو ببطء

اما تكبير المقتطف حتى يسع كل ما يراد نشرهُ من المواضيع الاقتصادية التي اشرتم اليها فنحن نفكر فيهِ الآن فاما ان نقدم عليهِ في السنة المقبلة او التي بعدها ولا يؤخرنا عنهُ الآن الاَّ قلة وجود الكتَّاب الذين تفي كتاباتهم بالمراد . لان من اكبر العقبات عندنا ان الذين يحسنون الكتابة في المواضيع الاقتصادية قلما يحسنون الانشاء العربي او الكتابة التي لا تنبو عنها آذان المتعلمين . والذين يحسنون الانشاء قلما يستطيعون الكتابة في هذه المواضيع . ونرجو ان يقوم منكم ومن امثالكم من يتناول منا القلم الذي مرَّ عليهِ في يدنا اكثر من اربعين سنة قبل ان يحم الاجل فيسقط من نفسهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثانية

في السموم المرضية

السموم المرضية نوعان الاول ما يتولد داخل الجسم والثاني ما يأتيه من الخارج

فسموم النوع الاول هي الفضلات الغذائية التي يحول دون افرازها عن طريق الكليتين عائق في وظيفتهما فتجتمع في الدم وتسمم البنية كما يحدث في التسمم البولي

والسموم التي تأتي من الخارج هي المواد الكيماوية البسيطة او المركبة المعدنية او الآلية من اصل حيواني او نباتي وهي كثيرة لا محل لتفصيلها هنا فنقتصر على السموم التي يتعرض لها الانسان كثيراً او يتعاطاها بكثرة وهو يجهل فعلها

لكل سم فعل خصوصي ولكل جسم استعداد خصوصي او قابلية خصوصية للتأثر يجب الانتباه لها لان اهميتها لا تقل عن اهمية فعل السم. فمن الناس من لا يستطيع احتمال اقل جرعة من الكحول ومنهم من يشربهُ بكميات كبيرة. واعرف بعضاً لا يحتمل اقل جرعة من يودور البوتاسيوم ويُسمَّ بجرعة خمسة سنتغرامات منهُ واعرف ايضاً عائلة لا تحتمل اقل جرعة من الكينا وبعض السنتغرامات منها تسيب لافرادها ازفة دموية مختلفة. وبعض الاشخاص يتسمم من اكلة سمك او من اكل بعض الخمار او من اكل البيض. وهذا مما يوجب الانتباه لتعيين المسلك الذي يجب ان يسلكهُ صاحب الاستعداد الخصوصي

كل ما يدخل جوف الانسان يكون غذاء او دواء او سماً على درجة محدودة وظروف خصوصية اذا لم تراعَ تحولت في فعلها من الواحد الى الآخر لان تسميتها نسبية وفعلها ايضاً نسبي. فالغذاء لا يكون غذاء الاَّ اذا أُخذ بالقدر اللازم لحاجة الطبيعة ليقوم بتعويض القوة التي فقدت بقضاء وظائف الاعضاء فاذا أُخذ بافراط او فاسداً او في غير الوقت المناسب اصبح سماً وكان داعياً للمرض. واذا قضت الظروف بتعيين غذاء خصوصي دون غيره من بقية الاغذية كالبن في مرض البول الزلالي وخبز الخالة (السن) في البول السكري وكطعام

المرضى والناهبين من المرض اصبح الغذاء دواء . والعقار اذا اخذ بالجرعة القانونية و بالوقت الموافق كان دواء للشفاء واذا اعطي لاصلاح البنية كالحديد في فقر الدم وزيت السمك في الهزال اصبح غذاء واذا زادت جرعتهُ عن الحد القانوني او استعمل في ظروف غير موافقة اصبح سمًّا . ومثلها السم فهو سم وغذاء ودواء في ظروف شبيهة بما ذكر . وهذا ما يجب اعتبارهُ والانتباه لهُ لان السم ليس فقط ما يؤخذ بطريقة السهو او للتعدي او الانتحار بل هو كل مادة من المواد التي يستعملها الانسان في غذائهِ وشرابهِ وكان استعمالهُ لها لا يتفق مع الغاية الموضوعة لها

اذا راعينا هذا المبدأ وجدنا ان السموم التي يعرض لها الانسان كثيرة وهو يتسمم بها جهلاً او بعدم التبصر لان الشراهة في الطعام والاطعمة الفاسدة والمشروبات المغشوشة هي سموم مرضية واسباب لامراض كثيرة كان اجتنابها ممكنًا لو روعيت فيها الظروف الصحية . ومثل ذلك يقال عن المشروبات الروحية والتدخين واستنشاق الهواء الفاسد في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام وعدم ترتيب المعيشة والعادات السيئة الخ

والسم يدخل الجسم من طريق المعدة او الرئتين او الجلد . اما في المعدة فيتنوع فعلهُ بحسب كونها فارغة او ملآنة فاذا كانت فارغة امتصهُ غشاؤها المخاطي بسهولة واذا كانت ملآنة امتزج بالطعام الذي فيها فيقل فعل الامتصاص وربما يتغير تركيبهُ الكيماوي بامتزاجهِ بحامض المعدة فيضعف فعلهُ السمي الا ان بعض السموم يزيد فعلها بهذا الامتزاج

اما الرئتان فتمتصان من السموم الغازات والابخرة السامة كاكسيد الكربون وهيدروكربونات الامونياك وغاز المراحيض الخ

واما الجلد فهو حاجز مانع للمواد غير الكاوية ولكن اذا سحجت البشرة ولامس السم نسيج الأدمة فانها تمتصهُ بسرعة تختلف بين كثرة وقلة

وفعل السم اما ان يكون حادًّا وسريعًا فيميت في وقت قصير او بطيئًا ومزمنًا فيحدث انحرافًا في الانسجة كالانحرافات العصبية والحشوية . وتمتاز بعض السموم بالميل الى استمرار استعمالها واحتمال جرعات كبيرة منها بحيث تصبح كغذاء لازم للجسم لان قطعها فجأةً يحدث عوارض ثقيلة وميتة ومن امثلتها الكحول والمورفين فان مدمن الكحول يصاب بارتجاف الاطراف ويشعر بوكل صباح ويزول موقتًا بعد ان يتناول كمية من المشروب الذي اعتاد عليهِ وهذا ما تسميهِ العامة كسر الخمرة . ومدمن المورفين يصاب بدواروقيء واسهال وتهيج عصبي يقرب من الجنون فتزول بعد اخذ الكمية المعتادة من المورفين

ويحصل التسمم غالبًا من عدم الانتباه او الوسخ او ضعف الارادة او الشراهة . فعلى

الانسان ان يكون شديد الانتباه وقوي الارادة ومعتدلاً فيتقي بذلك شرًّا يدفعهُ الى الموت عاجلاً او آجلاً

لا محل هنا للكلام على انواع السموم وشرح اعراضها وكيفية علاجها لان ذلك من مباحث الكتب الطبية الخاصة . وغايتنا في هذه المسامرات التنبيه الى ما يجب على الانسان ان يسير عليهِ في اعمالهِ اليومية والاقتصار في الكلام على بعض السموم التي يتناولها كل يوم وهو لا يتنبه لها او كان لهُ منها بعض اللذة الوقتية وهي تقطع كل يوم وصلاً من اوصال حياتهِ كالمشروبات الروحية واستعمال الحشيش والافيون واستنشاق الهواء الفاسد

الدكتور أمين ابو خاطر

النظافة والفساد

رأينا بالامس ديكاً روميا ذبح ونتف وعلق في مجرى الهواء وترك الى اليوم التالي ليطبخ فيهِ ولما طبخ ظهر ان لحمهُ قد فسد ابتدأ الفساد في ساقيهِ فافسد كل لحمهِ الاحمر واما لحم صدرهِ الابيض فلم يكن الفساد قد تطرق اليهِ . وحار الطباخ في امرهِ وعرض المسألة علينا فقلنا لهُ لعلك علقتهُ بكلاب من حديد فقال نعم فقلنا والظاهر انك تعلق اللحم دائمًا بهذا الكلاب فقال نعم . فاثبتنا لهُ ان اثر اللحم الذي يبقى لاصقًا بالكلاب يقع عليهِ ميكروب الفساد من الهواء وينمو فيهِ فيصير بؤرةً للفساد حتى اذا علق لحم جديد بهِ انتقل ميكروب الفساد اليهِ حالاً وعاش فيهِ وافسدهُ وهذا سر ظهور الفساد في ساقي الديك وقلنا لهُ يجب ان تحمي هذا الكلاب بالنار قبلما تعلق بهِ لحمًا فتفعل حسب وصيتنا ولم يعُد اللحم يفسد من تعليقهِ بهِ لان احماء الحديد بالنار يميت كل ما يمكن ان يكون عالقًا بهِ من ميكروبات الفساد

هذا والهباء الذي يكون متطايراً في الهواء قلما يكون خاليًا من ميكروبات الفساد ونحوها من الميكروبات الضارة او النافعة . ولا يخلو الهواء من الهباء ولو لم نرهُ فيهِ ولاسيما في المدن المزدحمة والاماكن الكثيرة الرياح والمواد الآلية الفاسدة . نظف لوحًا من الزجاج وابسطهُ امامك فلا تمر عشر دقائق حتى ترى سطحهُ قد تغطى بالهباء والغبار . ويسهل عليك ان ترى الهباء في هواء غرفتك اذا اقفلت بابها وشبابيكها وتركت فيها جزءًا مفتوحًا من الشباك اتجه الى الشمس حتى يدخل شعاع الشمس منهُ فانك ترى في حبل النور الداخل الى الغرفة ما لا يحصى من دقائق الهباء واذا صفقت كفًّا على كف قرب حبل النور رأيت دقائق الهباء قد زادت فيهِ زيادة كبيرة جدًّا بما تطاير اليهِ من كفيك

ماريا ادجورث

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٣٨٥

وذرات الهباء التي في الهواء مختلفة الانواع بعضها من المواد الجمادية كدقائق الرمل والملح والتراب وبعضها من المواد الآلية كبزور بعض النباتات وحثالة اوراقها واجزاء الحشرات والميكروبات ونحوها

واذا جمع مقدار من الغبار والهباء وحرق بالنار احترقت منهُ المواد الآلية واما المواد غير الآلية فلا تحترق . ويظهر بهذا الامتحان البسيط ان نصف الهباء مواد آلية والنصف الآخر مواد غير آلية وجانب كبير من المواد الآلية جراثيم او بزور تسبب الاختمار او المرض والموت

نترك اللبن مكشوفاً للهواء فلا يمضي عليهِ يوم او يومان حتى يختمر ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الاختمار والفساد من الهواء ولو اغليتهُ وعقمتهُ قبل ذلك . ونترك اللحم مكشوفاً فينتن ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الفساد اي ميكروبات الفساد . ونترك الطعام المطبوخ يوماً او يومين فيحمض او ينتن ويفسد والسبب في ذلك ما يقع فيهِ من جراثيم الفساد . ولكن اذا اغليت اللبن ووضعتهُ في اناء زجاجي نظيف وسددتهُ سدًّا محكماً بسدادة نظيفة فانهُ لا يحمض ولا يفسد ولو مرَّت عليهِ الشهور والاعوام . وقس على ذلك اللحم والطعام المطبوخ وكل ما يمكن ان يفسد فانهُ لا يفسد اذا نُزعت منهُ جراثيم الفساد ثم مُنعت من الوصول اليهِ . وكذلك اذا وضع اللحم والطعام في الصحراء النقية الهواء الخالية من جراثيم الفساد فانهما يجفان ولا يفسدان ولو مرَّت عليهما الاعوام

وقد اعتاد الناس من قديم الزمان ان ينظفوا بيوتهم من الغبار والهباء بالكنس الا ان المكانس لا تزيل كل الغبار بل تثير بعضهُ في الهواء

ماريا ادجورث

هي كاتبة ارلندية كثيرة الروايات الادبية ولدت في بداءة سنة ١٧٦٧ وظهرت عليها مخايل النجابة في حداثتها فانتبه لها ابوها وكان من كبار الكتَّاب والعلماء وطلب منها وهي في المدرسة وعمرها ١٣ سنة ان تكتب لهُ قصة صغيرة موضوعها الكرم وتوسلها اليهِ في اليوم التالي ليوم وصول كتابهِ اليها فكتبت القصة وارسلتها اليهِ فاستحسنها جدًّا . ثم طلب منها ان تترجم لهُ قصة مدام دي جنلي « ادل وثيودور » فترجمت مجلداً منها وقبل ان تترجم المجلد الثاني ظهرت ترجمة هلكرفت فاضطرت ان تعدل عن اتمامها

وتوفيت امها سنة ١٧٧٣ فتزوج ابوها باخرى تلك السنة فتوفيت سنة ١٧٨٠ فتزوج

باختها فتوفيت سنة ١٧٩٧ فتزوج رابعةً بفتاة اصغر من ابنته. وولد لهُ من نسائهِ ١٩ ولداً فاعتنى بتربيتهم على المبادىء العلمية وجعلها شغلهُ الشاغل ودرسهُ المتواصل . وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة تساعدهُ في ذلك وتكتب لهُ ما تراهُ من تأثير التربية في اخوتها واخواتها وكيفية ظهور الاخلاق المختلفة فيهم ودرجات نموها فألَّف كتباً في هذا الموضوع شاركتهُ في تأليفها . ولما عزم على التزوج بامرأتهِ الاخيرة كتب الى الدكتور دارون يقول « لقد عزمتُ ان اقترن بفتاة قليلة المال كثيرة الكمال صغيرة السن (بالنسبة اليَّ لانها لم تناهز الثلاثين) كبيرة العقل على جانب من الجمال وقدر طائل من الوزانة احببتها انا ورضي بها اولادي فاذا استطعت ان اقول مثل هذا القول بعد ثلاث سنوات فيكون السعد قد خدمني ان لم اقل اني حكيم » ولقد كان حكيماً بعمل حسب ما يعلم فعاش مع هذه الزوجة بقية عمره على تمام الوفاق ولما توفي عاشت مع ابنتهِ بقية عمرها

وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة قد اشتهرت بين ارباب الانشاء فانها الفت بالاشتراك معهُ كتاب التعليم العملي في مجلدين نشر سنة ١٧٩٨ والفت روايات كثيرة وحدها بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٨٤٧ ووصفت في رواياتها احوال اهالي ارلندا كبارهم وصغارهم اغنيائهم وفقرائهم وصفاً بديعاً يضيق مسافة الخلف بينهم وبين اهالي انكلترا حتى قال السر ولتر سكوت المؤلف الشهير « ان هذه الروايات عرَّفت الانكليز باخلاق الارلنديين وارتهم ما في قلوبهم من الدعة وفي نفوسهم من مكارم الاخلاق حتى يصح لنا ان نقول انها ساعدت على اتحاد الامتين اكثر من كل القوانين والشرائع التي سنتها الحكومة لذلك . ولقد حاولتُ ان اقتدي بها واصف بلادي اسكتلندا كما وصفت هي بلادها ارلندا ولكن هيهات ان يدرك الظالع شأو الضليع لانني لا ادعي ان ابلغ مبلغها في ما وصَّفت رواياتها بهِ من حسن المحاضرة وشرف العواطف وملاسة الانشاء »

وقال طرجنيف المؤلف الروسي المشهور « انني تلميذ ماريا ادجورث في صناعة الانشاء ومن المحتمل بل المرجح انهُ لو لم تكتب هي عن اهالي ارلندا لما خطر لي ان اكتب مثلها عن اهالي روسيا »

وسنة ١٨٠٢ ساحت مع ابيها في اوربا وزارت بلجكا وفرنسا والفت مدام ركامييه ومدام ده جنلي وعادت من هذا السياحة وقد امتلأت جعبتها بنوادر الاخبار فكتبت الرواية بعد الرواية واقبل الناس على قراءة رواياتها اي اقبال . ثم زارت لندن مع ابيها سنة ١٨١٣ والفيهما لورد بيرون حينئذٍ فقال عن ابيها انهُ شيخ في السيمين ولكن لا يظهر عليهِ

انهُ ناهز الخمسين ولا الثماني والاربعين احمر الوجه كثير الحركة طويل الحديث عالي الصوت » وقال عن ابنتهِ صاحبة الترجمة « انها صغيرة القد بعيدة عن الدعوى حديثها هادئ مثلها لا يظن سامعها انها تستطيع كتابة اسمها واما ابوها فيتكلم كمن يحسب انهُ ما من شيء يستحق الكتابة غير اسمهِ »

وتوفي ابوها سنة ١٨١٧ فلم تنقطع عن التأليف وزارت اسكوتلندا سنة ١٨٢٣ فردَّها الزيارة في ارلندا سنة ١٨٢٥ وألفت آخر رواية من رواياتها سنة ١٨٤٧ وعمرها ثمانون سنة ومرضت فجأة بعد سنتين وتوفيت بعد بضع ساعات

ورواياتها ترمي الى غرض واحد وهي تخفيف متاعب الحياة واصلاح طرق المعيشة وبث اسباب السرور والرضى في النفوس

الطبخ بالكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية تستعمل الآن لتدفئة البيوت بحرارتها ولتبريدها بادارة المراوح الكهربائية كما تستعمل لانارتها بنورها. وقد استعملت ايضاً لطبخ الطعام كما استعملت للتدفئة. واول شيء يخطر على البال هو هل تكون نفقات الطبخ بها مثل نفقات الطبخ على نار الحطب ونار الفحم او اكثر او اقل

وقد قرأ الاستاذ مورس مقالة في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني موضوعها الطبخ بالكهربائية بيَّن فيها النفقات اللازمة لذلك فقال

اذا استعمل الفرن الكهربائي الذي اتقن حديثاً قلَّت النفقة جداً فاذا كان في بيت خمسة او ستة واريد اعداد الطعام لهم يومياً في فرن كهربائي بلغ متوسط ثمن الكهربائية التي تنفق كل يوم نحو غرشين (او ٤٨٧ بنساً كل مئة يوم)واذا استعمل هذا الفرن لتسخين المياه اللازمة للبيت وحمامهِ بلغت النفقة ثلاثة غروش وثلاثة ارباع الغرش في اليوم

ولكن هذا حيث الكهربائية رخيصة كما في بلاد الانكليز لانهُ حسب ثمن الكهربائية التي تستعمل للاضاءة في ذلك البيت غرشاً وثلث غرش في الاسبوع وهي عندنا في القاهرة لا تقل عن عشرين غرشاً الى خمسين غرشاً في الاسبوع ولا امل بترخيصها ما دامت شركات الكهربائية مستبدة في اسعارها تتأخذ ثمن المقدار الواحد من الكهربائية اكثر من عشرة اضعاف ثمنهِ في البلاد الاخرى

البيض المزدوج

البيض المزدوج اي ذو المحين نادر ولكن قلَّ من لم يرَ بيضة منهُ واذا استعمل للتفريخ فالغالب ان يخرج منهُ فرخ باربع ارجل او نحو ذلك . وسبب وجود محين في البيضة الواحدة ان مبيض الدجاجة يخي محين في وقت واحد لشدة تهيجهِ بكثرة الطعام او نحوهِ فيدفعها الى حيث فتكون القشرة عليها فيكون من ذلك بيضة ذات محين وهي تمتاز بطولها

بيضة داخل بيضة

يحدث احياناً ان توجد بيضة داخل بيضة ولكن لا يكون للبيضة الداخلية زلال وسبب تكونها انها تندفع من المبيض الى القناة التي يتكون فيها الزلال والقشرة . والقناة تنقلص عادة وراءها ولكن في هذه الحالة تنقلص امامها وتعيدها الى المبيض فتجتمع حولها مح بيضة اخرى وتخرج الاثنتان معاً الى القناة حيث يتكون حولها البياض والقشر . وتقلُّص القناة كذلك سببهُ كثرة طعام الدجاجة او وجود مواد حريفة في طعامها

البيض الصغير الخالي من المح

تبيض الدجاجة احياناً بيضة صغيرة كبيضة الحمامة او اصغر والغالب انها آخر بيضة من يبضها في فصل البيض . وهذه البيضة لا تتكون في المبيض لان ليس فيها مح بل في قناة المبيض حيث يتكون بياض البيض وقشرهُ

فوائد منزلية

زيت البوكالبتوس يزيل الخ زيت الزيتون عن الثياب

اذا رش قليل من روح التربنتينا في الصناديق والدروج التي فيها ثياب صوفية منع العث من الوصول اليها . ويشترط ان يكرر رشهُ كل ثلاثة اشهر

اذا جمع نشر البرتقال وجفف فهو شعلة من اجود انواع الوقود

زيت اللوز يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجعلهُ لامعاً جميل المنظر

خير دواء لتقليل السمن تقليل الاكل ولكن لابدَّ من التدرُّج في ذلك تدرجاً

باب الزراعة

التفريخ في مصر

لقد كان من رأينا دائماً ان الاساليب الزراعية الجارية في القطر المصري اذا اتقنها اصحابها فهي من خير الاساليب الزراعية فالقمح يبلغ محصول فدانهِ ثمانية ارادب الى عشرة وقد بارى الاستاذ وود رئيس قسم الزراعة في مجمع تقدم العلوم البريطاني بانهم انتقوا نوعاً من القمح واصلوهُ فبلغ محصول الفدان منهُ في بلاد الانكليز اربعين بشلاً او نحو سبعة ارادب وثلث اردب . ومحصول فدان الذرة يبلغ عندنا احياناً ٢٥ اردباً وهو مهما جاد عندهم لا يبلغ ٢٠ اردباً . وفدان القطن يبلغ محصولهُ ١٢ قنطاراً كبيراً وليس لذلك مثيل في بلاد اخرى . ولكن بينما نجد فلاحاً يتقن خدمة ارضهِ حتى تغل هذه الغلة نجد جارهُ يهملها او يسيء خدمتها فلا يزيد محصول الفدان منها على اردبين من القمح او اردبين من الذرة او قنطار من القطن . ولو شاعت الخدمة الجيدة في القطر كلهِ من حيث الحرث والزرع والري والتسميد لتضاعفت المحصولات كلها

هذا وقد وقف المستر كدمن في مجمع تقدم العلوم البريطاني بالامس وشهد ان طريقة تفريخ البيض الجارية في القطر المصري منذ خمسة آلاف سنة هي افضل من الطريقة العلمية المتبعة في اوربا الآن والتي ارادت مصلحة الزراعة ان تدخلها الى القطر المصري . والطريقة المصرية معروفة وهي ان يوضع البيض في غرفة كبيرة على طبقة من التبن ويوقد حوله التبن والجلّة حتى تزيد حرارة الغرفة زيادة كافية لنمو الفراخ داخل البيض . ويقلّب البيض من وقت الى آخر الى ان تخرج الفراخ منهُ . وقد وصف المستر كدمن هذه الطريقة المصرية فقال

« ان المصريين اشتهروا من قديم الزمان بتفريخ البيض ولا يزالون يفرخونهُ بمقادير كبيرة وهم يتوارثون هذه الصناعة خلفاً عن سلف ولذلك هي خاصة ببيوت مخصوصة واصحاب المفارخ لا يفشون معارفهم لغيرهم فيجهلها الجمهور ولذلك شاع عند الفلاحين ان الذين يفرخون البيض يخلعون ثيابهم ويرخمون عليهِ كالدجاجة الرقناء لينقف بحرارة ابدانهم . والظاهر ان هذه الخرافة قديمة وقد اشار اليها الامبراطور ادريانوس حيث قال « ان المصريين يفرخون البيض على طريقة اخجل من وصفها »

ثم وصف المستر كدمن المفارخ فقال « ان الوقود الذي يرند لتدفئة البيض مصنوع من التبن وروث البهائم وان النساء يصنعنهُ اقراصاً ويجففنهُ في الشمس وهو يحترق ببطء ولا ينطفئ من نفسهِ ولا يلزم لكل فرن من الافران التي تحمى بها المفارخ الاَّ قليل من هذا الوقود . ويفرخ البيض في المفارخ مدة اربعة اشهر او خمسة من السنة في الشتاء والربيع وتحمى الافران قبل وضع البيض باسبوع او عشرة ايام ويكون في كل مفرخ نحو سبعة آلاف بيضة فيفرخ ثلثها او اكثر فهي افضل كل وسائل التفريخ من هذا القبيل . ويظهر من تعداد السكان سنة ١٩١١ انهُ كان في القطر المصري تلك السنة ٥١٢ مفرّخاً فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يستعمل عشرة افران مدة اربعة اشهر فيكون عدد البيض الذي يستعمل للتفريخ في القطر المصري في السنة ١٨٥ مليون بيضة يفرخ منها ١٢٠ مليوناً . ويندر جداً ان تجد في القطر المصري دجاجة رتقاء كأن دجاج القطر المصري فقد سليقة حضن البيض بسبب الاعتماد على التفريخ الصناعي » . ثم قال ان مصلحة الزراعة استشارتهُ في العام الماضي في ادخال المحاضن الاوربية واستعمالها في القطر المصري كله فاثبت لهُ البحث افضلية المحاضن المصرية على المحاضن الاوربية الأحيث يراد الامتحان لتأصيل انواع الفراخ . ومن رأيهِ ان اقتباس الاسلوب المصري للتفريخ في اوربا يأتي بربح كبير

موسم القطن الماضي

بحسب موسم القطن المصري انهُ يبتدئ في ١ سبتمبر وينتهي في ٣١ اغسطس من السنة التالية سواء ورد كلهُ الى الاسكندرية في هذه المدة او بقيت منهُ بقية وسواء صدر كلهُ من الاسكندرية او لم يصدر ما بقي في الارياف من الموسم الواحد بعد ٣١ اغسطس يحسب من الموسم التالي

والذي يرد الى الاسكندرية يومياً من الموسم الواحد لا يوزن وزناً مدققاً فلا يعلم مقدار الوارد تماماً الاَّ في آخر السنة حين يعلم مقدار الصادر بالضبط ومقدار الباقي وعليهِ فقد كان الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي ٧٥٣٢٦٣ قنطاراً

والى بورت سعيد والاسمعيلية والسويس	٤٦ »
وورد الى الاسكندرية بحراً من بورت سودان واسيا الصغرى	٢٤٤ »
وكان في الاسكندرية في ١ سبتمبر سنة ١٩١٢	٣٥٠٠٠٠ »
والجملة	٧٨٨٢٩٢٠ »

وصدر من الاسكندرية في غضون السنة	٧٣٦٧ ٥٩٦ قنطاراً
ومن بورت سودان	٤٦ »
واستعمل في معمل الغزل في الاسكندرية	١٧ ٧٧٨ »
واحترق فيها ثلاث حرائق	٦ ٥٠٠ »
وبقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس الماضي	٤٩١ ٠٠٠ »
والجملة	٨ ٨٨٢ ٩٣٠ »

وعليه فالوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي بلغ ٧ ٥٣٢ ٦٧٦ قنطاراً كما تقدم او اكثر من سبعة ملايين ونصف مليون قنطار

تعليل ضرر الضباب

وفعل الحر والبرد بالمزروعات

المشهور ان الضباب (الشابورة) الذي يتكوّن في الصباح يضرّ المزروعات ولعلّ ذلك صحيح ويمكن تعليلهُ هكذا : —

يبرد الهواء كثيراً في الليل في القطر المصري ولاسيما في الجهات الجنوبية من القاهرة فصاعداً فتحتمل المزروعات هذا البرد لانهُ يحدث رويداً رويداً بعد غياب الشمس . وفي الصباح تشرق الشمس فتحرق الاشعة فتكون حرارتها قليلة وتزيد رويداً رويداً بارتفاعها في قبة السماء فيشتد الحر رويداً رويداً ولا تتأثر المزروعات بذلك لان اشتدادهُ لا يفاجئها مفاجأة ولكن اذا اصبحنا فوجدنا الضباب يحجب الشمس وبقي حاجباً لها الى ان صارت الساعة الثامنة او التاسعة ثم انكشف عنها ظهرت عالية واشعتها تقرب من العمودية فيشتدّ الحر على المزروعات بغتةً فيضرّ بها

وقد امتحن بعضهم ذلك في جنوب افريقية فوضع الترمومتر في الخلاء وغطاهُ حتى لم تقع عليهِ اشعة الشمس من الساعة ½ ٦ الى الساعة ½ ٩ صباحاً فصعد رويداً رويداً من الدرجة ٦ منفرداً الى ان بلغ الدرجة ١٦ وذلك الساعة ½ ٩ ثم كشفهُ حينئذٍ فدور الشمس فصعد حالاً الى الدرجة ٢٨ وبلغ الدرجة ٣٧ عند الساعة ١١ صباحاً وكان حاله نبات معرّض لاشعة الشمس فكانت حرارتهُ عند الدرجة ٦ الساعة ½ ٦ فصعدت الى الدرجة ١١ الساعة ½ ٧ والى الدرجة ١٦ الساعة ٨ والى الدرجة ٢١ الساعة ½ ٨ والى الدرجة ½ ٢٥

الساعة ٩ ق والى الدرجة ٢٨ الساعة ٩ ق ومن ثم صعدت رويداً رويداً الى ان بلغت الدرجة ٣٧ الساعة ١١

اي ان النبات المعرض لاشعة الشمس منذ الصباح صعدت حرارتهُ رويداً رويداً لا كالذي يكون محجوباً ثم يكشف بغتة نحو الساعة التاسعة

ثم ان المزروعات تحتمل الحر الى درجة معلومة والبرد الى درجة معلومة فان زاد البرد او الحر فالغالب ان النبات يبيس . وقد وجد بالامتحان ان اوطأ درجة من الحرارة يحتملها النبات بسهولة هي الدرجة ٧ او ٨ فوق الصفر بميزان سنتغراد واعلى درجة يحتملها من ٣٩ الى ٤٣ فاذا نقص الحر عن الدرجة الاولى او زاد عن الثانية فالغالب ان النبات يضعف ويبيس . وبين هذين الحدين درجة وسطى وهي الدرجة ٣٢ وتسمى بالدرجة الفضلى فنمو النبات يزيد بزيادة الحرارة الى ان تبلغ الدرجة الفضلى وتكون زيادتهُ بطيئة في الدرجات السفلى ثم تزيد رويداً رويداً الى ان تبلغ الحرارة الدرجة ٣٢ وبعد ذلك يقل النمو بزيادة الحرارة الى ان يبلغ اقلهُ متى بلغت الحرارة اشدها

وبهذا يعلل نمو المزروعات في البلدان الشمالية الباردة كما في اسوج ونروج ونضجها باكراً فان الحر يشتد في فصل الصيف الى ان يبلغ الدرجة الفضلى ولا يزيد عليها فيبقى النمو زائداً ولا ينقص كما لو زادت الحرارة على تلك الدرجة فينمو القمح هناك ويحصد في شهرين او ثلاثة . وبه يعلل ان القطن الذي يزرع في مديرية البحيرة مثلاً بعد ما يزرع في المديريات الوسطى بشهر او شهرين يكاد ينضج ويجمع معهُ في السنين التي لا يكثر فيها الضباب لان الحر الشديد في المديريات الوسطى يقلل النمو او يمنعهُ ساعات كثيرة كل يوم

تكبير البيض

ان مَن يجيء هذا القطر من القطر الشامي او من اوربا يعجب من صغر البيض فيهِ مع انهُ كثير الدجاج وسوق بيضهِ رائجة في اوربا اذ يصدر منهُ كل سنة ما ثمنهُ ١٨٠٠٠٠٠ جنيه واكثرهُ يستعمل في اوربا للصناعة لا للاكل لانهُ غير جيد . ولو اعتني بتربية الدجاج الاعتناء الواجب لكبر بيضهُ وجاد فانهُ لا يندر ان ترى بين البيض الصغير بيضاً كبيراً فاذا اختار الذين يربون الفراخ البيض الكبير للتفقيس بدلاً من البيض الصغير جاءت الفراخ منهُ كبيرة القد كبيرة البيض ايضاً . ويحسن بالذين يربون الفراخ ان يأتوا بالبيض الجديد الكبير من سورية ويفقسوهُ هنا فتأتي الدجاج منهُ كبيرة قداً وبيضاً . واول بيض الترخة

يكون صغيراً ثم تصير تبيض بيضاً كبيراً متى صار عمرها ثلاث سنوات او اربع واذا اتفق ان كبرت بيضة من بيوضها حتى تعذَّر خروجها فتغطُّ ريشة بالزيت وتدخل في المبيض باعتناء وتدهن جوانب البيضة بالزيت فيسهل خروجها

انواع الزبل

الزبل او السباخ البلدي من اجود الاسمدة للارض ولكنهُ ليس كلهُ على درجة واحدة من القوة في تخصيب الارض بل يختلف باختلاف ما فيهِ من النيتروجين والبوتاس والحامض الفصفوريك كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	بوتاس	اكسيد الفصفور
زبل البقر	٠٫٢٠ في المئة	٠٫١٠ في المئة	٠٫١٧ في المئة
بول البقر	٠٫٥٨ »	٠٫٤٩ »	— »
زبل الخيل	٠٫٤٤ »	٠٫٣٥ »	٠٫١٧ »
بول الخيل	١٫٥٥ »	١٫٥٠ »	— »
زبل الغنم	٠٫٥٥ »	٠٫١٥ »	٠٫٣١ »
بول »	١٫٩٥ »	٢٫٣٦ »	٠٫٠١ »
زبل الخنازير	٠٫٦٠ »	٠٫١٣ »	٠٫٤١ »
بول »	٠٫٤٣ »	٠٫٨٣ »	٠٫٠٧ »
خائط الانسان	١٫٠٠ »	٠٫٢٥ »	١٫٠٩ »
بول »	٠٫٦٠ »	٠٫٢٠ »	٠٫١٧ »

ولكن هذه المواد تختلف باختلاف ما تأكلهُ هذه الحيوانات وباختلاف سنها وبكثرة الماء في زبلها وقلتهِ. اما البول فالفصفور قليل فيهِ او غير موجود ولكن النيتروجين والبوتاس فيهِ اكثر منهما في الزبل

والردم الذي يوضع تحت البهائم يمتص البول ويختلط مع ما يقع عليهِ من فضلات العلف فتتحلل وتزيد المواد الآلية المحللة في السماد

وقد حسب الاميركيون ان وزن زبل الفرس في اليوم ٢٨ رطلاً وزبل الثور ٧٣ رطلاً وزبل الخروف نحو اربعة ارطال

ثمن الزبل

زبل الثور في السنة يساوي من ٢٥٠ غرشاً الى ٣٠٠ غرش وزبل الفرس يساوي ١٣٠ غرشاً الى ١٥٠ وزبل الخروف يساوي ٢٥ غرشاً الى ٣٠ غرشاً

ثمن السماد

يقدَّر ثمن السماد بما فيهِ من النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم . ويشترط ان تكون هذه العناصر فيهِ قابلة للذوبان في الماء فالنيتروجين يجب ان يكون امونيا او نيترات الصودا او ما اشبه والفصفور يجب ان يكون الفصفات الاعلى او فصفات الجير الهيدراتي الذي يسهل ذوبانهُ اذا وجد في الارض حامض

والقيمة التجارية تختلف ولكن متوسطها هو ان الواحد من الامونيا يساوي ٤٥ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب في الماء بنفسهِ ١٢ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب بواسطة حامض ٧ غروش ومن البوتاس ١٧ غرشاً فاذا وجد سماد في الطن منهُ ٥ من الامونيا و١٥ من الفصفات الذوَّاب و٧ من الفصفات العسر الذوبان و٣ من البوتاس فثمنهُ هكذا

الامونيا	٥ × ٤٥ =	٢٢٥
الفصفات الذواب	١٥ × ١٢ =	١٨٠
« غير الذواب	٧ × ٧ =	٤٩
البوتاس	٣ × ١٧ =	٥١
والجملة		٥٠٥

اي ان الطن منهُ يساوي خمسة جنيهات وخمسة غروش

ما تأخذهُ المزروعات من الارض

تقسم المزروعات الى ثلاثة انواع

الاول المزروعات التي تزرع لاجل حبوبها وثمرها كالقمح والتفاح

والثاني المزروعات التي تزرع لاجل جذورها او ثآليلها كالجلجزر والبطاطس

والثالث المزروعات التي تزرع لاجل اغصانها واوراقها كالبرسيم

فالنوع الاول يشمل الحبوب على انواعها اي القمح والشعير والذرة والرز . والقطاني على

انواعها كالفول والعدس والحمص وفول الصويا والترمس واللوبياء ويدخل تحتها القطن والكتان والقنب والسمسم. ويشمل ايضاً الاشجار المثمرة كالمشمش والتفاح والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون على انواعهِ والعنب والموز والبطيخ . وهاك كلاماً وجيزاً عن كل نوع من هذه المزروعات وما تأخذهُ من الارض

القمح

القمح كثير المواد النيتروجينية فانها فيهِ من ٨ الى ١٠ في المئة وتتوقف جودتهُ على كثرتها فيهِ . وهاك متوسط ما في القمح وتبنهِ من المواد الكيماوية

	القمح	التبن
رطوبة	١٠٫٥	٩٫٦
رماد	١٫٨	٤٫٣
الياف	١٫٨	٣٨٫١
كربوهيدرات (كالنشا)	٧١٫٩	٤٣٫٤
بروتين	١١٫٩	٣٫٤
دهن	٢٫١	١٫٣
والجملة	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

واهم هذه المواد للغذاء البروتين والدهن والكربوهيدات . وتبن القمح لا يخلو من الغذاء كما ترى من الجدول ويزيد غذاؤهُ اذا حصد القمح باكراً قبلما يزيد جفافهُ . ويقل اذا تأخر حصد القمح الى ان يصير اكثر الغذاء من التبن الى الحب . ولا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع فيها القمح ويجود صلبة نوعاً قليلة الرمل والتخلخل ولذلك يجب تزحيف الارض ورصها بعد حرثها اذا زرعت قمحاً

الشعير

الارض الكثيرة السماد النيتروجيني لا تصلح لزرع الشعير . وتبن الشعير اسهل هضماً من تبن القمح . ودقيق الشعير اقل مادة صمغية (غلوتن) من دقيق القمح ولذلك يكون اقل خيلاً منهُ وهاك متوسط ما في الشعير وتبنهِ من المواد الكيماوية

	الشعير	تبنهُ
رطوبة	٩٫١٠	١٤٫٢
رماد	٢٫٤	٥٫٧
الياف	٢٫٧	٣٦٫٠
كربوهيدرات	٦٩٫٨	٣٩٫٠
بروتين	١٢٫٤	٣٫٦
دهن	١٫٨	١٫٥
والجملة	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

ويظهر من ذلك ان البروتين في الشعير اكثر منهُ في القمح فاذا هضمتهُ المعدة كما تهضم القمح فهو اكثر غذاء من القمح ولذلك يفضل الفلاحون خبز الشعير على خبز القمح ويقولون انهُ يقيم معهم اكثر ويقويهم اكثر مما يقويهم خبز القمح ويظهر لنا انهم مصيبون في ذلك ولهذا السبب تعاف الدواب شعيراً ولا تعاف قمحاً لا لان القمح اغنى من الشعير بل لان الشعير يغذيها اكثر من القمح

الارز

الارز طعام فريق كبير من الناس يعتمدون عليهِ كما نعتمد نحن على القمح . والمستعمل عندنا الرز المقشور وهاك جدول ما في الارز وقشورهِ من المواد

	الارز	قشرهُ
رطوبة	١٢٫٤	٨٫٢
رماد	٠٫٤	١٣٫٢
الياف	٠٫٢	٣٥٫٧
كربوهيدات	٧٩٫٢	٣٨٫٦
بروتين	٧٫٤	٣٫٦
دهن	٠٫٤	٠٫٧
والجملة	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

وعند قشر الارز يخرج منهُ ايضاً دقيق كدقيق القمح كثير المواد الهيدروكربونية والدهنية والبروتين وقشور مسحونة تسمّى نخالة الارز وهي مثلهُ كثيرة المواد الهيدروكربونية

والذهنية والبروتين . وقد يمزج هذان الدقيقان معاً ويباعان باسم دقيق الارز . وقد وجد حديثاً ان الذين يعتمدون في طعامهم على الارز المقشور يصيبهم منهُ مرض عسر الشفاء لان في القشر مادة لا غنى لهم عنها

زرع الحبوب

خطب الاستاذ بولي الاميركي في هذا الموضوع امام قسم الزراعة في جامعة وسكونسن باميركا في ٢٠ يوليو الماضي وافتتح خطبتهُ بقول ثودا العالم النباتي « ان الامة الغنية هي الامة التي تكثر من زرع الحبوب » . ثم قدّم المقدمات التالية وهي

(١) ان الهواء والماء وخصب الارض هي كل ما يلزم لخصب المزروعات

(٢) انهُ اذا قلّ محصول ارض فعلّة قلتهِ ليس في الارض بل في الزراعة نفسها اي انها تكون قد اصيبت بآفة من الآفات فيجب ان لا نقول ما علة الارض بل ما علة الزراعة

(٣) اذا كان الامر كذلك فقلّة خصب المزروعات ليس من قلّة المواد المغذية في الارض بل من مرض اصاب الزراعة . وما تعاقُب المزروعات حينئذٍ الاَّ واسطة صحية لازالة الادواء التي اصابت الزراعة

(٤) القمح لا يجود في ارض تكثر فيها بقاياهُ لا لانهُ يسم الارض ولا لانهُ يقلل خصبها بنزعهِ ما يلزم لهُ من مواد الغذاء بل لان البقايا التي تبقى منهُ في الارض تكون فيها جراثيم المرض الذي امرضهُ وقلّل خصبهُ وهو من الامراض الخاصّة بهِ

(٥) الحرث والتسميد بالسماد الطبيعي والصناعي يفيدان في تقديم الغذاء للمزروعات ويفيدان ايضاً فائدة كبيرة من باب صحي للزراعة

والتفت الخطيب بعد هذا التمهيد الى علماء الزراعة والذين يؤلفون الكتب والكراريس فيها وقال ان علمهم نظري غير مقرون بالتجربة والامتحان وان الاسباب التي يقدمونها لا تقنع الفلاح فلا يتبعها لانها ليست الاسباب الاصلية ولكنها اسباب فرعية كقولهم ان تعاقب المزروعات افضل من الاستمرار على زراعة واحدة في الارض الواحدة لان هذا التعاقب يريح الارض او لانهُ يزيد خصبها . فان الواقع لا يؤيد ان التعاقب يريح الارض او يزيد خصبها . ولو عرفنا السبب الحقيقي لفائدة تعاقب المزروعات وهو تخليصها من الآفات التي تعتريها لرأى الفلاح صحتهُ وجرى على هذا التعاقب . وكيفما كانت الحال فالامتحان خير مرشد واكبر مقنع ويجب ان يجري في غيطان الزراعة نفسها امام الفلاحين وبمساعدتهم . فان تحليل الارض

الكيماوي ومعرفة العناصر التي فيها لا بكفيان لمعرفة كونها خصيبة وانما درجة خصب الارض تعرف من مقدار الغلة التي تنتج منها اذا خدمت خدمةً معلومة من حيث الحرث والري والصرف . لا لان المواد الكيماوية غير لازمة لخصب الارض بل لانها وحدها لا تكفي للخصب فانها قد تكون في الارض ولا يخصب الزرع فيها ولا يأتي بغلة وافرة . فقد تكون الارض من الاراضي المعروفة بخصبها ومع ذلك لا يأتي القمح فيها بغلة وافرة بل ينقص محصولهُ سنة بعد سنة فما سبب ذلك

ثم ان الاراضي الجديدة اي الحراج التي تقطع اشجارها وتحرث وتزرع والاراضي البور التي تنقب وتقصب وتزرع تأتي بغلة وافرة في السنين الاولى ثم تقل غلتها رويداً رويداً مع ان موادها الكيماوية لا تتغير

ثم قال ان الشكوى من النقص في محصول القمح ومن قلة جودته عامةٌ تسمع من كل مكان في اوربا واميركا وليس لها سبب كيماوي ظاهر لا من حيث تركيب الارض الكيماوي ولا من حيث خدمة الارض

واسهب الخطيب في هذا الموضوع جدًّا وابدهُ بادلة كثيرة واستنتج اخيراً ان السبب لقلة الخصب صحي لا كيماوي اي انهُ يعتري البذار والارض امراض تقلل غلة القمح وجودتهُ والى ذلك يجب انتباه الفلاحين والعلماء الباحثين . وان كل ما قيل عن الميكروبات ونحوها لا يشفي غليلاً ولا يبين السبب الحقيقي لضعف الارض وقلة المحصول

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ مصر

الفت هذا الكتاب السيدة الفاضلة هند عمون كريمة الاصولي الكبير والكاتب الشهير اسكندر بك عمون وهو تاريخ مختصر للقطر المصري من اول ظهور العمران فيهِ الى الآن وقد وقع احسن وقع لدى نظارة المعارف واللجنة المعدة لاختيار الكتب المدرسية فقرَّرت تدريسهُ في مدارسها ولا غرابة في ذلك لانهُ من حيث الاقتصار على امهات الحوادث من خيرة كتب التاريخ لهذا القطر وكذا من حيث بلاغة الانشاء كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ منهُ في هذا الجزء

وهو ثلثمئة صفحة نحو ثلثها لتاريخ مصر القديم من اول عهدها الى زمن الفتح ونحو نصفها للدول التي تولت مصر من زمن الفتح الى عهد محمد علي باشا رأس السلالة الخديوية وما بقي للعصر الحاضر من ايام محمد علي الى الآن . ولا يقتصر على ذكر تاريخ مصر بل يتناول امهات الحوادث التي حدثت في الشام والعراق وسائر البلدان التي لها علاقة بالقطر المصري فهو تاريخ مختصر للخلفاء والسلاطين كما هو للملوك مصر وولاتها

تهذيب الالفاظ العامية

الّف هذا الكتاب حضرة الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الاميرية . وبسط فيه الكلام على ادواء اللغة العربية فقال انها بقيت الى زمن الفتح الاسلامي « لم يتسرّب اليها دخيل . وبقيت على ريعان شبابها الى آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم يكن ليعزب عن فهم احد اذ ذاك شيء من الكتاب او السنة يستوي في ذلك صغيرهم وكبيرهم الذكر منهم والانثى بل لم يكن ليغيب عنهم شيء من غريب اللغة فضلاً عن مطروقها اللهمّ الاّ ما شذّ او كان خاصاً يقوم دونهم »

ثم افاض في ذكر ادواء اللغة داء داء فقال ان اللحن اول هذه الادواء وقد ابتدأ في عهد عمر بن الخطاب بعد ان فتحت الروم وفارس ودوائه النحو . والثاني التحريف وهو اقبح داء بعد اللحن وتاريخهُ متأخر عنهُ لانهُ لا يقع الاّ من الموالي او المولدين او الاعاجم الذين تعربوا بدخولهم في الاسلام او برحلتهم الى بلادهم . والداء الثالث الدخيل . واقترح ان يؤلف مجلس علمي لتهذيب اسماء المخترعات الاجنبية واختزالها على وجه يسوغ به تعاطيها هذا اذا لم يوجد لها اشباه في العربية . وهو اقتراح في محله . واشار بعد ذلك بوسائل مختلفة لرد المحرف الى اصله العربي ومنها الوصيلة التي اختارها وهي استقراء الالفاظ العامية وذكر ما تصير به صحيحة او ما يراد فيها من الالفاظ الفصيحة فمن الاول مثل تِرْس بالكسر فان فصيحها تُرْس بالضم ومثل حِجّة بالكسر فان فصيحها حُجّة ومثل خَرْطوم بالفتح فان فصيحها خُرْطوم بالضم ومثل دِهن بالكسر فان فصيحها دُهن بالضم

ثم ذكر كثيراً من الالفاظ التي عرّبها المتقدمون ليقتدي بهم المتأخرون في اساليب التعريب . وكثيراً من الكلمات العامية ومرادفاتها العربية واكثر ما ذكرهُ حسن وغالبهُ معروف مستعمل ولكنهُ ذكر كلمات لم يصب في ذكر مرادفاتها فقال مثلاً ان الدوستاريا عامية وعربيتها خلفة وان الروماتزم عامي وعربتهُ نقرس والدفتيريا عامية وعربيتها ذيحة وان امينة

الجير عامية عربيتها جصاصة كان الجير هو الجص ودكتور عامية عربيتها حكيم وان بروجرام عامية وعربيتها برنامج . وحبذا لو وضع معجم مهذب للالفاظ العامية حقيقة وما يرادفها من الالفاظ العربية الفصيحة التي يحسن استعمالها كما كان المعجم الذي يقال ان المرحوم الشيخ خليل اليازجي الفه في هذا الموضوع

حقائق وعبر

تأليف حضرة اسكندر افندي الخوري البيتجالي « وهي مختارات مما نشره من المباحث الاجتماعية والحقائق الادبية وزبائق الحقل في كثير من مجلات مصر وسورية » .

الاولى منها رواية موضوعها فتاة سورية اخذها امير رومي الى روسيا حيث تربت وتعلمت وتهذبت فاحبها ابن ذلك الامير وود الاقتران بها فطلبت ان تزور بلادها اولاً وترى والديها فلما وصلت اليها حاولا ان يزوجاها بابن عمها ولما لم ترَ لها من ذلك مناصاً عزمت على الانتحار فجمعت حول سريرها كثيراً من الازهار الشديدة الرائحة واقفلت باب غرفتها وكواها ونامت فقتلت بها الرائحة فعل الخنجر الى ان اعدمتها الحياة . وعبارة المؤلف شعرية وافراضه حميدة وهاك شيئاً مما كتبه في موضوع سماه « قاصمات الظهر

« دعاني الواجب ذات يوم الى عيادة مريض زمن اعيا داؤه الاطباء . دخلت البيت فاذا بالقوم حواليه سكوت قد دعموا رؤوسهم باصابعهم كما لو كانوا يشكون صداعاً . المريض شيخ جليل يناهز الستين من عمره . كلله الشيب فزاده هيبة وجلالاً . اخذت كرسياً وجلست بيدٍ اني ما عتمت ان اخرجت من جيبي منديلاً مسحت باطرافه دموعي . رأيت شيخاً يتململ على فراشه وهو يتلظى من حر النزع . ونفسه تجعل في صدره . وكان كما اختلس الموت الحياة من احدى مسامّ جسمه . ينتفض كالعصفور بلله القطر . قلت : الموت يميل الى وضع يده الثقيلة على الرؤوس المكللة بالبياض فعلام هذا البكاء ؟

« ما كاد الشيخ يلفظ نفسه الاخير حتى لفظ معه هذه العبارة : « لك الله يا اميركا . اودعتك اولادي فلم تردّيهم . ودنا الموت مني فلم تستدعيهم . ولولا تعلقي برؤيتهم لتفيت ربي منذ حين . في فؤادي نار لا يطفئ سعيرها الا رؤيتك « يا سليم » انا هائم اليوم فمن يطبق جفوني حين ينادوني باسمي فلا اجيب ؟ آه من يحمل نعشي عند ما أدرج في كفني ؟ »

وما فرغ من قوله حتى فرغ من نفسه

« هذا هو سبب بكائي !

« عدتُ الى البيت وما كدت اخطو بضع خطوات حتى استوقفتني امرأة نزل بها على أثر فقدها زوجها الشاب في ارض المهجر عوزٌ وهزال كادا يفقدانها اسمى ما تحلى بهِ المرأة من العفة وحياء ولولا خيوط جمال ارتسمت على وجهها لغابت عني معرفتها . وقفت على استحياء . وقد اغرورقت عيناي بالدموع حينما لمحت الى جانبيها وليدتين تناديانها : — يا اماه ! متى يأتي ابونا من اميركا ؟

« غيّضت من عبرتي واخفيت من حسرتي ولم املك الوقوف فقالت وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة الله اعلم بما يشوبها من مضاضة الحياة . وغضاضة العيش : خرجتُ امتكتب الناس كتاباً ليلبد وحيد غادرني منذ ثلاث سنين الى البرازيل وخلفني بعد ابيهِ هدفاً للمخاوف السنين وقد ابطأ خبرهُ عني وانقطع ذكرهُ من كتب المهاجرين . فأصبحت والارض في ناظري أضيق من كفة الحابل . ونزلت بي الضائقة . واحتواني اليأس . وبلغ مني القنوط فهل لك ان تطفئ نيران اشواقٍ ذكت في فؤادي لهذا الغائب بكتاب تخطهُ لي . فقمت في لأمري ما بها غيران جفاف الريق عقد لساني ولفرط ما اعتراني من الاكتئاب اومأت لها ايماء الايجاب

« غادرتها اسير التجاه كي لا اعود اعثر على اعظم من هذا الشقاء . وما هي الا لحظة حتى وقعتُ في الذي منهُ تخوفت : صوت بكاء وتحيب طرق طبل اذني . ورنة حزن كلما ملت عنها اصغاء . ملت اليها ميلاً . فاذا بقدميَّ تهديانني الى دار اكتظ بالجموع وازدحم بالجماهير فولجت لأسبر مجلبة النواح فقيل لي ان يدّ الموت القاسية اختزمت شاباً في ربيعهِ العشرين كان قد قدم من اميركا منذ شهرين وبهِ الداء العياء . فما زال بهِ حتى اوردهُ موارد المنون . فقلت ربّاهُ ! توهم الناس اميركا دار نعيم وهناء . فطفروا اليها كما يطفر الطفل فاذا بهم لا يرحلون الا هوجاء الشقاء فاين دار البقاء ؟ »

ولا شبهة ان للهاجرة سيئات كما لها حسنات ولكن لولاها لعاش السوريون في فقر مدقع وانتابتهم الامراض والاوبئة . والمرجح عندنا انهُ لولا المهاجرة لكان عددهم الآن في بلادهم كما هو الآن او اكثر قليلاً لانهُ يظهر بالاستقراء ان البلدان المزدحمة بالسكان او التي لا تزيد خيراتها على ما يلزم لمعيشة سكانها يبقى عدد سكانها على حالهِ سواء هاجر منها كل من يزيد عمَّن تقوتهم اولم يهاجر منها احد . ولا تختلف سورية عن ذلك الا في ان خيراتها الطبيعية كثيرة كافية لاكثر من سكانها اذا لم يمنعوا من الانتفاع بها ولكن صاحب البستان كان يقطع اشجارهُ ليخلص من ثقل العشور وصاحب الحقل لم يكن يأمن على غلتهِ من نهب

البدو او الملتزمين . وعليهِ لم تكن الخيرات التي يسهل الوصول اليها والانتفاع بها كافية لزيادة السكان

هداية المدرس

تأليف حضرة علي عمر بك مساعد مفتش بنظارة المعارف

الذين تعلموا او تربّوا واستفادوا الفائدة الكبرى من التعليم والتربية لا يقعون تحت قياس يقاس عليهِ لان قوى الانسان العقلية والبدنية موروثة من ابويهِ واسلافهما على درجات مختلفة لا ضابط لها حتى انك لا تجد اثنين يتساويان في كل شيء من هذا القبيل ولو كانا اخوين شقيقين . والذين علّموا وربّوا اختلف نجاحهم في صناعتهم اختلافاً كبيراً حسب استعدادهم الفطري لبث مبادئ العلوم والآداب في نفوس التلامذة او حسب تأهلهم لهذه الصناعة . ولكن الاستعداد الفطري لا يمكن التحكم فيهِ ولا هو حاصل الاّ لافراد قلائل لا يسدون حاجة البلاد الى المعلمين فيبقى الاستعداد الاكتسابي وعليهِ المعوّل . ويسرّنا ان هذا الكتاب قد جمع القواعد العملية اللازمة لهذا الاستعداد الاكتسابي فقد احسن حضرة مؤلفهِ بوضعهِ ولا بدّ من ان يأتي بفائدة كبيرة . وانا نشير على كل من اتخذ التعليم حرفةً ان يطالعهُ بامعان و يطبق اساليبهُ في التعليم عليهِ

والظاهر ان المؤلف يأخذ بقول الذين يقولون ان التهذيب افضل من الوراثة ولهذا اكثر من الاستشهاد بالامام الغزالي وغيرهِ من الذين لم يبحثوا بحثاً علمياً في قوى العقل ونواميس الوراثة . وحبذا لو كان الامر كذلك اذاً لصار اولادنا كالمعدن المصبوب نفرغهُ في القوالب التي نختارها . ولكن واأسفاه كم من ولد تتعب وتشقى في تربيتهِ فينشأ على ضد ما تصدت وغيرهُ لا يربّي غيرهُ نفسهُ وينشأ كاملاً مكمّلاً . وهذا لا ينفي وجوب التربية والتهذيب وفائدتهما ولو دلّ على انهما لا يثمران في بعض الاحيان بل تتغلّب الوراثة عليهما

القراءة الرشدية

هي سلسلة كتب لتعليم القراءة على طريقة التدرّج من البسيط الذي يسهل فهمهُ على صغار الطلبة الى ما هو اعلى منها انشاء واصعب فهماً وضعها حضرة عبد الفتاح صبري بك المدير العام للتعليم بمجلس مديرية الدقهلية وعلي عمر بك وكيل المدرسة الخديوية الثانوية وجريا فيها مجرى سلاسل القراءة الانكليزية اي اضافا الصور الى الدروس ليسهل على

التلميذ فهم ما يقرأهُ وتصوُّرهُ . والدروس كلها مضبوطة بالشكل الكامل ويبتدئ كل درس منها بذكر الكلمات التي يظن انها غريبة على التلميذ . وفي الدروس فوائد كثيرة ادبية وعلمية فيستفيد التلميذ كثيراً بجعلها فوق الفائدة المقصودة بالذات وهي تعلم القراءة . فنشكر للمؤلفين الفاضلين هذه التحفة النفيسة

العراقيات

كان مدينة صيداء ارادت ان تشيد شهرتها الصناعية القديمة فانشئت فيها مطبعة العرفان تناظر اعظم المطابع العربية في اتقان الطبع واختيار المؤلفات . وقد اتحفتنا الآن بالعراقيات وهي مختارات من اشعار عشرة من شعراء العراق وهم السيد محمد سعيد جولي النجفي والسيد ابرهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد مبيب والشيخ ملا كاظم الازري والشيخ عباس بن اعلا علي النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الباقي الفاروقي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي . وفيها قدر صالح من اشعار كل منهم ولاسيما من اشعار الاول من قصائدهِ وموشحاتهِ ومراثيهِ حتى لقد يود القارئ ان يطلع على كل ما نظمهُ هذا الشاعر ولاسيما اذا قرأ مرثاتهُ الدالية التي يقول في مطلعها

ضحى اليوم غاضت بالندى نجمة النادي لفقد المدى او قُل لفقد ابي الهادي
ثوى واحد العصر الذي لفَّ بردهُ قبائل فهر من جموع وآحاد
وكان بالنجار الفاطمي نجارهُ فطاب وطيب المرء من طيب ميلاد
فاين محطُّ الرحل يا اينق السرى واين منال الري يا غلة الصادي
واين الحمى مخضرة جنباتهُ كان عليها سندسية ابراد
واين جماهير الرجال مفذة تروح اليهِ من ملوك واجناد

وقدم الجامع لما اختارهُ من كل شاعر مقدمة وجيزة وصف بها شعرهُ ووصف خير بفن التقريض ومناحي الشعراء

تأثير المسيحية في العالم

تأليف الدكتور فربن رئيس كلية اريدال اللاهوتية ببرادفورد بانكلترا وتعريب فهيم افندي حلي تادرس مدرس اللغة الانكليزية بمدرسة عبد المسيح بك مونى الخيرية بالزقازيق وهو محاضرات في الدين وفوائدهِ بنوع عام والمسيحية بنوع خاص

مسامرات البنات

تأليف حضرة علي افندي فكري امين دار الكتب الخديوية

هو دروس بسيطة للبنات تشتمل على قصص وحكم ونوادر كالقصة التالية

« كان احد المومنين يتصدق من مالهِ ، على الفقراء والمساكين ، فجمع في بيتهِ يوماً فقراء المدينة من بنين وبنات وقال لهم

« انظروا يا بني الى هذه « السلة » المملوءة خبزاً ، وليأخذ كل منكم رغيفاً ، واعلموا انكم متعطون كل يوم مثل ذلك الى ان يغنيكم الله من فضلهِ

« فسارعوا الى السلة مسارعة الجياع ، الى القصاع ، يتخاطفون ما فيها ، وكل يحرص على ان يأخذ الرغيف الاكبر

« ولما انصرفوا ، لم يخطر على بال احدهم ان يشكر لهذا المحسن الكريم على احسانهِ ، إلاَّ بنتاً صغيرة كانت يتيمة اسمها « رابعة » تلوح عليها علامات الادب والقناعة ، اقتربت بعد انصراف الجميع ومدت يدها باستحياء ، واخذت الرغيف الصغير الباقي في السلة ، ثم اقبلت على المحسن وقبلت يدهُ وحمدتهُ على جميل عطائهِ ، وعادت الى والدتها فرحة ، مسرورة بما انعم الله عليها

« وفي الغد : جاء الاولاد بشرههم وتخاطفوا الارغفة كعادتهم ، وبقي لتلك البنت المسكينة الرغيف الاصغر ، فاخذتهُ راضية شاكرة ، ورجعت لوالدتها

« فلما فتحت والدتها البائسة الرغيف ، سقطت منهُ كيسة من الدراهم ، فدهشت المرأة ، وتحيرت في امرها ، وقالت لابنتها

« ارجعي الى ذاك الغني وردّي اليهِ هذه النقود ، فانهُ لا شك وضعها في الرغيف سهواً فاطاعت البنت امر امها وذهبت في حينها الى المحسن ، واعطتهُ الدراهم فردها عليها قائلاً

« لم افعل ذلك سهواً ، بل قصداً وعمداً وضعت تلك الدراهم في اصغر الارغفة لأكافئك ايتها البنت المحبوبة على ادبك وقناعتك ، فكوني على الدوام راضية مرضية ، ذات نفس ابية ، فمن يقنع بالقليل تعفف وكرامة ، يستحق الشكر والسلامة »

دروس مثل هذه كبيرة الفائدة للمعلمات وتزيد فائدتها بما في الكتاب من الامثال والاشعار الحكمية التي لابدَّ وان يكلف التلميذات باستظهارها . وجيدا لو زاد المؤلف اعتناءه بوضع علامات الوقف وبتنقيح لغة الكتاب حتى ترتاح اللغة الفصحى في نفوس المتعلمات من سن الصغر

آداب اللياقة

هذا الكتاب لمؤلف مشهور بين ارباب الاقلام وهو حضرة محمد افندي مسعود المحرر الفني بنظارة الداخلية . قال في مقدمته

« هذا كتيب ضمنتهُ قواعد في الآداب الاجتماعية واصولاً في قوانين المعاشرة استخلصتها مما اقرّتهُ العادة واجمعت عليهِ الاذواق وتوافرت على الاخذ بهِ الطبقات المهذبة في الامم الراقية

« وكفى بيانًا لاهميتها انها المحور الذي تدور عليهِ الروابط الادبية والاجتماعية التي ترابط الافراد بعضهم ببعض في البلاد المتحضرة والميزان الذي توزن بهِ اخلاقهم وطباعهم فمن كان على ارثٍ منها اوفازاً بالسهم الاجزل رمق بعين الاحترام وأُحلّ محلّ الاجلال والاعظام ومن كان عنها بمعزل عومل معاملة من لا خلاق لهم ونبذ نبذ النواة

« ولما كان مرماي من التأليف بين اجزاء هذا الكتيب هداية النشء الى اقوم الطرق لضبط تصرفاتهم الفعلية والقولية وان يشبوا عارفين بالادب واللائق منها في ظروف الحياة المتباينة واطوارها المتناقضة فقد توخيت في وضعهِ ان يكون سهل العبارة قريب المأخذ على الفهم بما اوردتهُ في غضون احكامهِ وقواعدهِ من الامثال والشواهد الذاهبة بشيءٍ من خشونة الامر والنهي حتى اصيب على ما ارجو خليقاً بأن يتداولهُ النشء وان يجعل منهم في المستقبل بما استظهروهُ من قواعدهِ وألفوا العمل بهِ من مبادئهِ طبقةً عارفةً بحقوقها وواجباتها الاجتماعية والقةً باخلاقها وطرائقها المحمودة في السير والسلوك ونزعاتها في آداب المعاشرة على كرم الامة التي هم ابناؤها ورسوخ شرفها وتأثل مجدها

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

« هذا واني ازدلف الى مقام معادة ناظر المعارف العمومية بتوديد آي الشكر لهُ إذ امدني من ينبوع علمهِ الغزير ودرايتهِ التامة بهذا الفن بكثير من قواعدهِ واهتديت بنورهِ في تهذيب ما اوردتهُ من هندي ابقاهُ الله عضداً للعلم وذخراً للفضل »

وقد وفّى الموضوع حقهُ من حيث آداب اللياقة او الكياسة المتعارفة عند الاوربيين والتي يصطلح الجري عليها في بلادنا الشرقية ولم يكتفِ بذكر ما يليق او يجب اتباعهُ بل ذكر ايضاً ما يحسن او يلزم ابطالهُ من العادات السائئة . فالكتاب كبير الفائدة على صغر حجمهِ وقد قررت نظارة المعارف تدريسهُ في المدارس الاميرية في السنة الرابعة الابتدائية

المطالعة الفصيحة

لامهات اليوم والغد

تأليف حضرة مهدي افندي احمد خليل

هذا الكتاب فصول ادبية تدور على مدح الاقتصاد وتهجين العادات القبيحة او الضارة ويبتدئ كل بلدة منهُ بشرح ما فيها من الكلام اللغوي او الذي يصعب فهمهُ وجيدا لو طبع هذا الشرح بحرف يميزهُ عن حرف المتن . ولغة الكتاب فصيحة كاسمهِ

باب المسائل

فقها هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النشر باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر فلكون قد اغفلناهُ لسبب كان

(١) اكل الدم

مصر . طالب علم (١) هل يفيد الدم لتقوية البدن او هو مضر (٢) واي الطرق انفع صحيًّا ذبح الحيوان او خنقهُ (٣) وهل كشف مرض ينتج من اكل الدم

ج . عن الاول انهُ لا ضرر من اكل الدم ولا سيما اذا طبخ مخافة ان يكون فيهِ شيء من الميكروبات المرضية والذئاب التي تفترس الغنم قد تكتفي بمص دمها ولا يصيبها ضرر من ذلك وكل الضواري تأكل فرائسها لحمها ودمها وعظمها ولا تضر . واهالي اوربا يجمعون دم الحيوانات التي يذبحونها ويجففونهُ ويأكلونهُ . وعن الثاني اننا لا نرى فرقاً من حيث الصحة ولكن الحيوان الذي يخنق خنقاً يتلوّن بعض لحمهِ بما ينتشر فيهِ من دمهِ فيقبح منظرهُ . والذين يستنكرون اكل الطائر مخنوقاً يأكلون السمك مخنوقاً ولا يأكلون بل قد يقلونهُ او يشوونهُ وهو حي . وعن الثالث اننا لم نسمع ولا قرأنا انهُ كشف مرض ينتج من اكل الدم خاصةً ولكن اذا كان الحيوان مصاباً بمرض ميكروبي معدٍ كمرض التربخينا الذي تصاب بهِ الخنازير وشرب احد دمهُ او اكل لحمهُ نيئاً فانهُ قد يصاب بذلك المرض . هذا من حيث معارفنا الحاضرة

(٣) شكل سطح الماء

منطا . نجيب افندي توما هل المياه في المحيط تأخذ شكلاً كروياً تبعاً لكروية الارض . واذا كان ذلك كذلك فلماذا لا تنبسط ولا تأخذ سطحاً مستوياً كما هي خاصية الماء الطبيعية

ج . ان خاصية الماء الطبيعية ليس ان يأخذ شكلاً مستوياً بل ان يأخذ شكلاً مستديراً اذا كان مقداره قليلاً جداً وغلبت جاذبية الالتصاق التي بين دقائقهِ على جاذبية ما حولهُ او على جاذبية الارض لهُ ولكن اذا كان مقداره كبيراً تغلبت جاذبية الارض عليهِ وحينئذٍ ينبسط ويظهر سطحهُ مستوياً وهو في الحقيقة محدَّب بمقدار ما لو كان كرة قدر كرة الارض فاذا كان عندكم بركة كبيرة طولها ميلان وعرضها ميلان فالماء الذي في وسطها يكون سطحهُ اعلى من سطح الماء الذي في اطرافها نحو ثلثي قدم او ثماني بوصات وهو محدَّب قليل جداً لا يشعر بهِ في المساحات الضيقة

(٢) الدهن والزيت والعطر والروح

كفر الطوير . حامد افندي السيد الطنطاوي ما الفرق بين الدهن والزيت والعطر والروح

ج . لا فرق في التركيب الكيماوي بين الادهان والزيوت ولكن جرت العادة ان يطلق اسم الزيت على ما كان سائلاً منها كزيت الزيتون وزيت اللوز وزيت بزر الكتان . والدهن على ما كان شديد التوام نوعاً كدهن الغنم والبقر والسمن والزبدة . والعطر هو الزيت الطيار من المواد الطيبة الرائحة والروح الزيت الطيار مطلقاً اي الذي يتبخَّر سواء كان وحدهُ او ممزوجاً بالسبيرتو

(٤) زيت السمك

ومنهُ . باي كيفية يستخرج زيت السمك وما فائدتهُ

ج . تستخرج اكباد السمك المعروف بالقُد وتنظَّف وتسخَّن بالبخار الى درجة فوق درجة غليان الماء فيخرج الزيت الذي منها وهو يستعمل غذاء لتقوية الجسم لانهُ سريع الامتصاص والتأكسد وعلى ذلك تتوقف فائدتهُ الغذائية

(٥) سبب الفرق بين التوأمين

ام درمان . خليل افندي جرجس . توأمان ولدا في ساعة واحدة ورضعا من ثدي واحد وتربيا في بيت واحد وعاشا في وسط واحد ثم دخلا مدرسة واحدة في فرقة واحدة ولكن احدهما امتاز عن الآخر في حدة الذاكرة والفهم ففاز على اخيهِ فهل لذلك من تعليل

ج . نعم والتعليل انهما لم يرثا قواهما العقلية على درجة واحدة من والديهما فان الجرثومة والبيضة اللتين يتكوَّن منهما الجنين فيهما اصول من ابيهِ وامهِ والاصول الآتية من الاب فيها اصول من والديهِ واصلافهما

وكذا الاصول الآتية من الام فيها اصول من والديها واسلافهما . وقد ظهر للسر فرنسيس غالتون بالبحث والاستقراء ان الاصول التي تأتي من احد الوالدين يكون نصفها من والديه والنصف الآخر من اسلافهما اي الربع من اسلاف الاب والربع من اسلاف الام . ثم ان الاصول التي تكون في كل بيضة وكل جرثومة ليست متماثلة عدداً يحتمل ان يكون في البيضة الواحدة مئة جوهر مثلاً من جواهر السَّدَف الدماغية التي هي مركز الذاكرة ويكون في بيضة اخرى خمسون جوهراً او اقل او اكثر وقس على ذلك الجواهر التي في الجرثومة . ويحتمل ان يكون بعض هذه الجواهر بالتأنيث يظهر في الشخص الاول الذي يتكون منها ويحتمل ان يكون غير بالغ فلا يظهر فيه بل في اولاده او احفاده . ومن المؤكد ان الجرثومة تفرق البيضة وتدخل اليها حينما تلقحها وقد يدخلها جراثيم كثيرة في وقت واحد وحينئذٍ يخرج منها شيء من مادتها يساوي مقدارهُ الجراثيم التي دخلت اليها فقد يكون مع المادة التي خرجت كثير من جواهر الفم والانف والشعر فيأتي الطفل وفهُ وانفهُ وشعرهُ مثل ابيهِ لا مثل امهِ . راجعوا ما كتبناهُ عن الوراثة في المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف

(٦) الخطابة الارتجالية

وسئلَ . اي كتاب يفيد الانسان في القاء خطب ارتجالية او تحريرية في مواضيع اجتماعية مختلفة

ج . قيل ان ويستر الخطيب الاميركي المشهور خطب مرةً خطبة ارتجالية في موضوع عرضي عرَضاً كان لها وقع عظيم فسألهُ سائل قائلاً كيف تسنّى لك ان تخطب خطبة ارتجالية مثل هذه فقال لهُ ويستر اخطأت فان خطبتي ليست ارتجالية بل قد مضى عليَّ اربعون سنة وانا استعدُّ لها اراد ان علم المرء ومطالعاتهِ الكثيرة وتمرُّنهُ على الخطابة هذه كلها لازمة لجعلهِ يخطب ارتجالاً . وما من كتاب واحد لنيل مطالعتهُ بهذا الغرض ولعلَّ مجلدات المقتطف من افضل الكتب لذلك لكثرة ما فيها من المواضيع الاجتماعية

(٧) قصر البصر

مصر . ادوار افندي سمعان . لي صديق عرفتهُ منذ الصغر كان وقتئذٍ حاد البصر يستطيع القراءة في اي كتاب يُقدَّم لهُ على بُعد مترين او اكثر اما الآن وقد تجاوز الثامنة عشرة فضعف بصرهُ واصبح لا يستطيع القراءة على نصف البعد المذكور فما سبب ذلك وهل من دواء لاعادة بصرهِ كما كان

ج . يرجح لنا ان سبب حسر او قصر بصرهِ كثرة المطالعة بلمة لا يعلمها جيداً او في كتب دقيقة الحروف او على نور ضئيل . ومهما كان السبب فان عدسية العين البلورية

تحدّب او قطر العين من الامام الى الوراء يطول فتصير خطوط النور التي تكوّن صور الاشياء تتقاطع وتكوّن الصورة الواضحة قبلما تصل الى الشبكية التي تنتشر فيها فروع العصب البصري فلا تكون الصورة التي تصل اليها جليّة . ويُصلَح هذا الخلل باستعمال النظارات المقعّرة . ولا يعرف دواء لازالته ولكن اذا قلّل الانسان استعمال عينيه قلّ هذا الخلل رويداً رويداً والغالب انهُ يزول بتقدُّم الانسان في السن

الاخبار العلمية

سكنى السيارات

وضع الاستاذ موندر الفلكي رسالة في السيارات من حيث كونها صالحة لسكنى الاحياء او غير صالحة فبيّن ان البعيدة منها اي اورانوس وزحل والمشتري غير صالحة وكذلك عطارد . اما المريخ الذي كثر البحث في كونهِ مسكونًا فالماء فيهِ جامد دائمًا ولا يسيل الاّ سطحهُ في المنطقة الحارة وذلك ساعات قليلة كل يوم فان كان فيهِ احياء فهم في زمهرير مستمر وقد يكون فيهِ نبات تمّا يحتمل البرد الشديد . وما الترع التي تُرى فيهِ سوى نقط واشباح يجمعها النظر عن بعد فيراها خطوطًا . ولا يبقى الاّ الزهرة فهي تصلح لسكن الاحياء اذا كانت تدور على محورها كما تدور الارض واما اذا كانت تدور بدورانها حول الشمس اي اذا كان وجه من وجهيها متجهًا الى الشمس دائمًا فهو في حر مستمر كالاتون والوجه الآخر في برد دائم لا يعرف الدفء . وعليهِ ليس من السيارات ما يصلح حتمًا لسكن الاحياء التي عندنا غير ارضنا

السمك القدي

هو سمك طويل ضيق كالقدة يكون في قاع البحر في الاماكن العميقة وقد صيدت سمكة منهُ حديثًا طولها خمس اقدام وثماني عقد ونصف عقدة وعرضها عشر عقد وثلاثة ارباع العقدة وقطر كل عين من عينيها ثلاث عقد

مؤتمر الفسيولوجيين الدولي

عقد مؤتمر الفسيولوجيين الدولي التاسع في مدينة غرونيجن بهولندا من ٢ سبتمبر الى ٦ منهُ برئاسة الاستاذ همبرجر وحضرهُ ٤٠٠ من الاعضاء وبينهم اكبر علماء الفسيولوجيا

وتكلموا فيه عمَّا اكتشفوه وحققوه في المواضيع الفسيولوجية بعد اجتماعهم الاخير

الكلى الصناعية

عرض الدكتور ابل والدكتور روتبري من اطباء بلطيمور في مؤتمر الفسيولوجيين العام الآلة التي صنعاها وسمياها كريات الكلية الصناعية glomerulus وهي انابيب من الكلوديون يحيط بها محلول حار تصل بين شريان حيوان وورِيدهِ فتفعل فعل الكلية اي انها تستقطر من الدم البول وكل المواد الذائبة فيه فتستعمل لاكتشاف ما في الدم من الاملاح ونحوها . ومن المحتمل ان يصيرها فائدة جراحية لان فعلها مثل فعل الكلية او يزيد

مبدأ الاجسام الآلية على الارض

ابان الدكتور بنيامين مور والدكتور وبستر في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ اذا مرَّ اكسيد الكربون الثاني في محلول غير آلي مثل اكسيد الحديد (الاكسيد الحديديك) المخفف كثيراً في مكان مكشوف لاشعة الشمس او لنور القوس الزئبقي تكوَّن متهُ فورم الدهيد وهو سائل آلي . ومن رأيهما ان المواد الآلية تكونت على سطح الارض اولاً من مواد غير آلية على هذه الصورة . وقد عرف قبلاً ان الشرارات الكهربائية تكوِّن الفورم الدهيد اذا مرَّت في غاز الميدروجين واكسيد الكربون الثاني

جمجمة بلتدون وقدم الانسان

من المسائل التي جرى البحث فيها في المؤتمر الطبي مسألة جمجمة بلتدون التي وجدت في بلاد الانكليز فان الدكتور سمث ودورد وضع اجزاءها بعضها مع بعض وقدَّر انها تحوي دماغاً لا يزيد حجمهُ على ١٠٧٦ سنتمتراً مكعباً فيكون متوسطاً بين دماغ ارقى انواع القرود وارقى اجناس البشر وحسب انها من اوائل عصر البليستوسين وقد قدَّر الاستاذ روتوت ان عصر البليستوسين دام ١٥٠٠٠٠ سنة واما الاستاذ بنك وهو اكبر ثقة في تقدير الاعصر الجليدية فقدر مدتهُ من نصف مليون سنة الى مليون ونصف من السنين . الآن الاستاذ كيث حسب ان هذه الجمجمة تسع دماغاً حجمهُ ١٥٠٠ سنتمتر مكعب فهي فوق متوسط جماجم الناس في هذا العصر وعليه فنوع الانسان ارتقى حتى بلغ الدرجة التي هو فيها الآن في اواسط عصر البليستوسين الذي دام من ١٥٠ الف سنة الى مليون وخمس مئة الف سنة او كما قالت جريدة التيمس منذ ١١ اغسطس الماضي اننا اذا اردنا ان نصل الى فجر الزمن الذي ارتقى فيه نوع الانسان وجب ان نرتد الى الوراء نحو مليون سنة

البراكين والبرد

ظهر ان لثوران البراكين علاقة شديدة باشتداد برد الهواء فاذا ثار بركان كبير وانتشر الغبار منهُ في طبقات الجو امتص هذا الغبار جانباً كبيراً من حرارة الشمس فتقل الحرارة الواصلة منها الى الارض ويشتد البرد عليها وقد وجد بالحساب ان غبار البراكين قد يمتص خمس الحرارة التي تصل الى الارض من الشمس . ولما ثار بركان كاراكاتوى سنة ١٨٨٣ اشتد البرد سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ و ١٨٨٦ وقد ظهر ان هذا الامر مضطرد منذ سنة ١٧٥٠ الى الآن

حركات الجوع

ابان الدكتور كارلسن في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ يسهل اظهار ما يحدث في جدران المعدة من الانقباض وقت الصوم وذلك بان يُدخل اليها انبوب من الكاوتشوك في طرفهِ مسبار من الكاوتشوك الذي ينتفخ بسهولة وانبوب آخر يدخل فيهِ ماء ويكون الانبوب الاول متصلاً بآلة قياس الضغط فيظهر بها ان جدران المعدة تنقلص وتتمدد والمظنون ان حركتها هذه هي التي تسبب الشعور بالجوع

اكرام العلماء

العلم عند الاوربيين غير العلم عندنا والعلماء عندهم غيرهم عندنا فهم يفهمون بالعلم متى اطلقوهُ العلوم الطبيعية وحدها على انواعها وبالعلماء المشتغلين بها

لما اجتمع الوف العلماء في مدينة برمنجهام في شهر سبتمبر الماضي أكثير اعظمهم واشهرهم واكثرهم اكتشافات عملية ومخترعات رتبة شرف من جامعة برمنجهام وخاطبهم حينئذٍ رئيس الجامعة ذاكراً خلاصة اشغال كل منهم التي استحق لاجلها هذا الاكرام كما ترى في ما يلي قال

الدكتور اوهنيوس

مدير معهد نوبل في ستكهلم للطبيعيات والكيمياء عضو اكادمية العلوم الاسوجية وعضو الجمعية الملكية (الانكليزية) فان الطريقة التي استخدم بها نظرية الحل الكهربائي لدرس الافعال الكيماوية نوّعت مجرى علم الكيمياء في الثلاثين سنة الاخيرة ووسّعت نطاق البحث الكيماوي ووفّقت بين الحقائق التي تظهر متناقضة وغير متصلة وادخلت الظواهر الكيماوية المتزايدة في دائرة البحث الكمي الحسابي فهو من اعظم واضعي علم الكيمياء الحديث وقد زاد على ذلك بانهُ استخدم مبادئ الكيمياء لايضاح اغمض ظواهر الحياة الآلية وما كتبهُ حديثاً في علم الكون كان لهُ شأن كبير في كل مكان فكاشفتهُ الكهربائية

والاشفاق القطبية ببعض اسرارها وآراؤهُ في كيفية تكوُّن العوالم فائقة في اختلابها الالباب واقناع ولالتها · رجل نابغة مؤسس من مؤسسي الكيمياء الطبيعية فاقدم الى رتبة دكتور في الشرائع سائنث اغسطس ارهنيوس

مدام كوري

مكتشفة الراديوم ومديرة المعمل الطبيعي في السربون من اعضاء اكادمية كركو الامبراطورية · يعلم اهل الارض اجمع كيف جاءت مدام كوري من ورسو باسم ماري سكلودوسكا لتشتغل في باريس فاستهواها اكتشاف بكرل للفعل الاشعاعي فجعلت تقيس ما تجدهُ في المواد المعدنية من هذا الفعل ورأت منهُ في بقايا الاورانيوم اكثر مما يكون في الاورانيوم نفسهِ فاختارت اطنانًا من هذه المادة بمهارة ومواظبة منقطعتي النظير (وقد اعطتها حكومة النمسا تلك الاطنان باشارة الاستاذ سوس) فنقَّتها وكانت تبقي على ما تجد الفعل الاشعاعي فيهِ شديداً وتطرح ما سواهُ الى ان تبيَّن لها وجود عنصر جديد مختصٌ بالبولونيوم نسبة وطنها بولونيا ثم بعد ان قضت شهوراً تشتغل وتتعب تمكنت من استخلاص قحات قليلة من المادة التي حازت الشهرة الكبرى المادة التي تخبري قوة طبيعية بصورة طبيعية جديدة والتي يحتمل ان تكون مزيلة لآلام البشر · ثم بينت ماذا يجب ان يكون الوزن الجوهري للعنصر المدفي الذي في هذه المادة (وهو الراديوم) ووجدت لهُ محلاً في سلسلة مندليف واكتشفت بمساعدة زوجها الذي كانت وفاتهُ المفجعة ضربة فادحة على العلم — كثيراً من خواص ذلك العنصر وبعض هذه الخواص امتلك عقول البشر بغرابتهِ · والذين اشتغلوا بعدها في العنصرين اللذين اكتشفتهما البولونيوم والراديوم كانوا يعتمدون على مشورتها فيجدونها كنزاً لا يثمَّن · فلي الشرف الآن في تقديم اعظم امرأة من نساء العلم في كل العصور ماري سكلودوسكا كوري لتتأثل رتبتنا الشرفية

الاستاذ الدكتور كيبل

استاذ التشريح في جامعة فريبرج هو اكبر ثقة في كينية نمو الانسان وعلم الاجنة المتعلق بذوات الفقار · هو الذي وضع الاقيسة المعوَّل عليها لقياس ما يتعلق بالاجنة وهو الذي اصلح تعليم التشريح بمؤلفهِ في النمو النسبي فبثَّ في النفوس المبادئ المبنية على ذلك · فما اضافهُ الى علم التشريح واسلوبهِ صارت بذكره الركبان وعاد عليهِ بالشكر في كل مكان ولاسيما قسم التشريح في هذه الجامعة · هذا العالم الكبير الذي لهُ المنزلة العليا في نفوس رصائهِ وفي يدهِ ادارة اعظم مدرسة لعلم التشريح في المانيا فوزكارل يوليوس كيبل دُعي ليعطى رتبة شرف فاقدمهُ اليكم

الاستاذ لورنتز

نحن في الكلام عما قام منا اكثر من قسطنا من الذين اشتغلوا بالطبيعيات الرياضية في القرن الماضي وهذا القرن . ونرى في استاذ الطبيعيات في جامعة ليدن عالماً مثل اكبر علمائنا فانهُ توسع في اشغال كلارك مكسول وادخلها مربع الالكترونات الذي كُشف حديثاً ووسّع نظرية مكسول في القوى الكهربائية حتى شملت جواهر المادة . وهو ثقة في حركة الاجسام المادية اذا تحركت في اثير الفضاء وقد تحكّم في كثير من القضايا التي نتجت من الجمع بين النور والكهربائية ونظمها سمطاً . واكتشف مواطنهُ زيمان ظاهرة بصرية مغنيطيسية غريبة فسرها لهُ تفسيراً بديعاً ثبتت صحتهُ حالاً وعرف بهِ جاه كثير من الجواهر العنصرية المختلفة وتناولهُ الفلكيون الاميركيون فاكتشفوا بهِ ان كلف الشمس زوابع كهربائية شديدة المغنطيسية . ومن المحتمل ان تفسيرهُ هذا يزيد معارفنا بحقيقة الشمس والنجوم . فاقدم لكم هنا بك انطون لورنتز كثقة في مذهب الالكترونات وكمن بذكر اسمهُ دائماً كلما ذكر الرأي الجديد القائل ان المادة اهتزازات كهربائية

الاستاذ وود

استاذ الطبيعيات في جامعة جونس هبكنس بلطيمور (باميركا) عالم كثير التجارب العلمية لهُ فضل كبير على العلم الحديث بتجاربهِ في البصريات الطبيعية فانهُ تطلّع الى مبادي جواهر الاجسام ببعض خواص النور التي قلّما كانت معروفة فعرف سرعة دقائقها بالضبط . واكتشف نوعاً جديداً من الطيف في تلألؤ الابخرة المعدنية . ويعزى في الوقت اذا اردت ان اشير الى كل ما اكتشفهُ من حيث امتصاص بخار الصوديوم واستخدام التولوغرافية ذات اللون الواحد لمعرفة جيولوجية القمر . واسمهُ مشهور في اميركا بتسهيل الجليد من انابيب الماء بواسطة الكهربائية . يحق لنا في هذه البلاد ان نفار من العلماء الاميركيين لكثرة ما ينالون من كرم اغنيائهم ومن سائر العلماء على ما تمنحهم اياهُ حكوماتهم توسيعاً لنطاق العلم ولمحترم الاساليب العلمية التي يستعملون فيها كرم الكرماء وكرم الحكومة ونعجب بهِ فاقدم الآن روبرت وليم وود لهذه الدرجة كعالم من اكبر العلماء الطبيعيين الذين قرنوا العلم بالامتحان

الاستاذ ڤمبيري

توفي المستشرق الكبير الاستاذ ارمينيوس ڤمبيري المجري في بودابست في ٩ اسبتمبر عن اثنتين وثمانين سنة وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

مرفأ بمباي

لما ثار بركان يزوف وطمر مدينة بمباي

قيل ان ثلاثة ارباع سكانها لجأوا الى المرفإ المجاور لها آمنين ان تتقلهم السفن الرومانية من هناك سالمين فخاب املهم . وقد اهتم اهل النقب الآن بكشف آثار ذلك المرفإ فوجدوا طريقاً ممتداً من المدينة الى جهة البحر ولم تزل آثار عجل المركبات فيه ووجدوا مباني المرفإ القديم وعليه آثار امواج البحر وهذا المرفأ يبعد عن المدينة ٢١٠٠ قدم فقط ويبعد الآن عن شاطىء البحر ٩١٠٠ قدم كأن الارض ارتفعت هناك فانحسر الماء عنها نحو ميلين . والمرفأ مغطًّى بطبقة من التراب والرماد والحم تحتها نحو ٢٣ قدماً . وينتظر ان تكشف تحتها عظام السكان الذين مروا الى هناك فادركهم الحمام ويكشف ايضاً ما اخذوه معهم من الذهب والفضة والجواهر

قصة جديدة للخلق

وُجد بين قطع الخزف الاشورية التي نقلت من انقاض نينوى الى اميركا قطعة عليها كتابة اشورية عن خلق الانسان يقال فيها ان ايل خالق السماء والارض اراد ان يخلق الناس لسكنى العالم فقام الآله انكي اله الحكمة ورسم صورة انسان مثل صورة الالهة وقامت الالهة لنهرسغ وصنعتها من طين فجرى اليها دم ايل واعطاها حياة وعقلاً

انخفاض حرارة الشمس

يظهر من قياس الحرارة في مراصد كثيرة في العام الماضي ان الحرارة التي وصلت الى سطح الارض من الشمس من يونيو سنة ١٩١٢ الى اواسط يناير سنة ١٩١٣ كانت اقل من الحرارة التي تصل اليه عادة كأن غيوم السماء كانت تحجبها عن الوصول الى الارض . فهل لذلك علاقة بقلة فيضان النيل هذه السنة لانهُ اذا قلت الحرارة الواصلة الى الاوقيانوس الهندي قل التبخُّر منهُ وقلّت الامطار التي تتكون من بخاره ونقع في بلاد الحبشة ونحوها حيث منابع النيل

اغرب التيازك

حدث في اميركا الشمالية في التاسع من شهر فبراير الماضي حادث غريب جدًّا رآهُ اناس كثيرون ووصفوهُ وصفاً اقرب الى الوهم منهُ الى الحقيقة . وقد جمع الاستاذ شانت من اساتذة جامعة تورنتو كثيراً من الروايات التي رويت عنهُ ونشر خلاصتها في مجلة الجمعية الفلكية الملكية بكندا ويظهر منها انهُ ظهر بغتةً في الجهة الغربية الشمالية من اميركا جسم ناري احمر او اصفر ذهبي لهُ ذنب طويل وقال بعض الذين رأوهُ ووصفوهُ انهُ كان جسماً واحداً وقال غيرهم انهُ كان بضعة اجسام متصلة ولكلٍّ منها ذنب وهذا الجسم او المجموع سار الهوينا في خط افقي كأنهُ يمشي متثاقلاً متبصِّراً وظلَّ يمشي الى ان بلغ اقصى الجنوب الشرقي وغاب

عن الابصار بابتعادهِ ولم يكد يغيب حتى ظهر مجموع آخر اقتفى اثرهُ وسار سيرهُ وكان مؤلفاً من اجسام مجموعة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولكل منها ذيل يجرهُ وراءهُ ولكنهُ اقصر من ذيل الجسم الاول. وغاب هذا المجموع كالغاب الذي قبلهُ وظهر مجموع ثالث اقتفى خطواتهِ

وقد وصف بعضهم هذه المجاميع بما تعريبهُ كان عدد الاجرام ثلاثين او اثنين وثلاثين والغريب من امرها انها كانت تسير اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة الواحد وراء الآخر على تمام الانتظام كأنها مدرَّبة على ذلك وقد جاءت لتُعرَض للناظرين . ولما مرَّ نحو نصفها ظهر جسم كبير جدًّا اكبر من اكبرها عشرة اضعاف. والمدة التي كان يظهر فيها كل مجموع منها نحو عشرين ثانية الى خمس وعشرين ومدة ظهورها كلها نحو ثلاث دقائق . ولما غاب آخر مجموع منها سمعنا خمسة اصوات او ستة كاصوات الرعد آتية من جهة الشمال الغربي لا من جهة الجنوب الشرقي حيث غابت الاجرام. وانتهى هذا المعرض الساعة التاسعة والدقيقة ١٢ مساء

فائدة الجير في الزراعة

مررنا بالامس في ارض زراعية شديدة الخصب لكننا رأينا في حوض منها بقعة سوداء لا يزيد قطرها على بضعة امتار وليس فيها نبات مع ان القطن حولها نامٍ كثير الاوز ورأينا على مقربة من ذلك الحوض كومة من الجير (الكلس) الحي فعجبنا كيف يغفل ناظر الزراعة اصلاح تلك البقعة والجير امام عينيهِ وهو افضل مصلح لها . وكان المظنون ان الجير يصلح التربة الفاسدة باتحادهِ مع الاملاح الحامضة التي فيها وتصديلها ولكن ظهر الآن من التجارب الحديثة ان لهُ فعلاً آخر لا يقل عن الفعل الاول اهمية وهو انهُ يميت الحشرات الارضية التي تأكل الميكروبات النافعة ويميت ايضاً جانباً من الميكروبات ويحل المركبات الآلية النيتروجينية فتصير غذاء صالحاً للنبات وحينما يتحد بالحامض الكربونيك ويصير كربونات الجير تأخذ الميكروبات الصالحة للزراعة تنمو بكثرة وتزيد غذاء النبات . وقد لا تظهر فائدة الجير في الموسم الاول او يكون منهُ بعض الضرر ولكن تظهر فائدتهُ في الموسم الثاني وما بعدهُ

سمك يحمل اولادهُ على رأسهِ

وجد اهل السياحة في نهر من انهار غينيا الجديدة سمكاً ينمو للذكر منهُ مادة عظمية في أعلى رأسهِ تطول وتنعطف على نفسها فتصير حلقة مفرغة والبيض الذي تبيضهُ انثاهُ يعلق بهذه الحلقة باهداب تنمو منهُ وتلتف حول الحلقة فيعلق بها نحو مئة بيضة فتصير هذه البيوض في حرز حريز

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

صفحة
٣١٣ مبدأ الاتصال . من خطبة للاستاذ السر اوليفر لدج
٣٢١ الجنسية واللغة . للدكتور امين ابو خاطر
٣٢٩ العلاج الكيماوي . من خطبة للدكتور ارنج في المؤتمر الطبي
٣٣٣ الرغبة سر النجاح
٣٣٨ غرائب العادات (مصوّرة)
٣٤٣ مسير ومصير . لكاظم افندي الدجيلي
٣٤٦ السلاحف وتربيتها (مصوّرة)
٣٤٩ المطالعة المفيدة
٣٥٤ السلم والحرب
٣٦٢ اوغسطين
٣٦٦ قصر السلام (مصوّرة)
٣٦٩ خمارويه والي مصر . للسيدة هند عمون

٣٧٣ باب الصناعة * نسج القطن في مصر
٣٨٣ باب تدبير المنزل * المساعة النافعة في السموم المرضية . البطاقة والفساد . ماريا انجورث (مصوّرة) . الخلخ بالكهربائية . البيض المزدوج . بيضة داخل بيضة . البيض الصغير الخالي من المح . فوائد متنوعة
٣٨٩ باب الزراعة * التفريخ في مصر . موسم القطن الماضي . تعليل ضرر الضباب . تكبير البيض . انواع الزبل . ثمن الزبل . ثمن السماد . ما تأخذهُ المزروعات من الارض . القمح . الذرة . الارز . زرع الحبوب
٣٩٨ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ مصر . تهذيب الالفاظ العامية . حقائق وعبر . عناية المدرس . القراءة الرشدية . العراقيات . تأثير الحجبة في العالم . مسامرات البنات . آداب اللياقة . المطالعة المفيدة
٤٠٦ باب المسائل * وفيه ٧ مسائل
٤٠٩ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٦ نبذة